

العاصي فصادوا سمكا واكلوا منه فمات في الحال اكثرهم وقد صارت هذه اما بفعل ما ، او بضربه من العلي ، اما الذين بقوا على قيد الحياة فأسرعوا بالهرب خوفا من الموت وتركوا المنهوبات .

مصرع الخليفة الراشد

بعد ان اتفق مسعود سلطان همذان مع داود السلطان ، ولما سمع الخليفة انهما اتفقا فزع ففرقهما بالسرا ، واتى ليحارب مع مسعود ، ولما نظر ان داود ختنه لم يأت ليساعده علم ان الخليفة وعده ان يعطيه المملكة وحده ، فتحارب مسعود مع الخليفة اولا وكسره وامسكه وربطه بالحديد ، ثم طارد داود وهنا صار كما هو مكتوب ان الخليفة قتل في معسكر مسعود على باب مراغه وقام بعده الخليفة الراشد ، ثم طارد مسعود داود لانه هرب الى ارمينية وسبى ، وخرج الى الموصل الى عند زنكي ، اما هذا فلكونه ند لمسعود حمى داود ، ونزل معه الى بغداد وارسل الخليفة ان تعطي السلطنة الى داود اما هو فكان يخاف من مسعود ، وظل يعدهم من وقت الى وقت مدة عشرة اشهر ، حينئذ امتلأوا غضبا ونهبوا بغداد الشمالية كلها ، وعند ذلك التزم الخليفة ووجب السلطنة لداود ، فسمع مسعود وصعد ، اما الخليفة فقد ترك بغداد واتى مع زنكي الى الموصل ، ولما وصلوا وسمعوا ان الوالي الذي في نصيبين تمرد على زنكي وصار مع حسام الدين حاكم ماردين ، اتى زنكي على نصيبين وكان معه خليفة بغداد والسلطان داود ، فأصلح نصيبين ورجع الى الموصل ، اما الخليفة فنزل الى بغداد واصطلىح مع مسعود بوساطة الرسائل ، ونزل الخليفة الراشد الى خراسان وانتهت مملكة العرب كليا وصار الخليفة مستعبدا للاتراك .

اخبار البيعة لهذا الزمان

انتقل بهذا الزمان باسيلوس بن السمنة من كيسوم الى الرها وكان يلام لانه لم يكن مأمورا بذلك ، وقد كتب مقاله دافع فيها عن نفسه ، ونفى ان يكون قد صنع ذلك حتى كتب له البطريرك والمجمع ، وانه لم يفعل ذلك تنفيذا لامر السلطان او الرهاويين - كما قال - . والحقيقة ان الرهاويين كانوا ضد البطريرك ومختلفين معه وكانوا يرفضون ان يعترفوا به او يرفعوا رئاسته في البيعة اذا لم يصبح باسيلوس مطرانا فاختر البطريرك اهون الشرين وثبت ابن السمنة مطرانا للرها ، فاسكتهم بذلك ، ولما رجع جوسلين من القدس بعد ان شارك في تتويج ملك جديد ، ذهب البطريرك وكل الاساقفة اليه وقابلوه فأعطاه انية الكنيسة وجرة الميرون وهي النخائر التي كان قد خطفها من دير مار برصوم من قبل .

في سنة ١٤٤٨ هاجم يوحنا ملك اليونانيين بعنف قليقية غاضبا على لاون الارمني واخذ مدائن طرسوس واذنة والمصيصة وغيرهم وبعد ان اخضع كل البلاد امسك لاون وامراته وبنيه وارسلهم الى القسطنطينية حيث مات لاون هناك ، اما امراته وبنيه فقد خرجوا فيما بعد وملكوا ايضا على تلك البلاد.

اما ملك اليونانيين بعد ان ملك في قليقية وارسل لاون الى القسطنطينية ، زحف نحو انطاكية وهاجمها لكنه لم يقدر ان يأخذها لذلك اتى اليه جوسلين واصطالحا على شروط: ان اخذ الملك بلاد سورية ، اعني حلب وغيرها ، يعطيها للافرنج والافرنج يعطوه انطاكية ، كما سلف ووعدوا اييه الكسيس ، وعلى هذا العهد خرج اليه ريمند حاكم المدينة وبخل الملك يوحنا الى انطاكية ، وفيما بعد لما نظر انهم يريدوا ان يضلوه رجع الى قليقية ، فمضى اليه الافرنج واتفقوا ايضا واتى الملك معهم ، ونزلوا الى حلب واخذوا قلعة بزاعا

ووضع المجانيق ضد شيزر ، حينئذ خرج السلطان مسعود من قونية
وبدخل الى قيليقية واستولى على اننة بالحرب ، وسبى كل سكان
البلاد وكذلك الاسقف واحضرهم الى ملطية ، فلما سمع الملك احرق
المنجنيقات ورجع الى قيليقية ، واصططح مع السلطان وبدخل
القسطنطينية.

وفي تلك السنة هجم بدمشق رئيس العسكر البغش ايضا على
سيده شهاب الدين وقتله (٢٧) . وجمع زنكي عسكرا وبدخل ناحية
طرابلس ، ولما خرج حاكمها ابن صنجيل نصب له الترك كمينا
وقتلوا جميع الافرنج ، وقتلوا معهم ايضا ابن صنجيل
واحرقوا طرابلس العالية بالنار ، وسبوا كل البلاد ، وحلوا على
طبريه ونهبوها ووصلوا الى نابلس التي هي السامرة ونهبوها
وخربوها ، فخرج ملك القدس على صوت الضجيج واتى الى رنديه
ليطرد منها الترك الذين كانوا يقاتلونها ، لكن هاجم زنكي معسكره
بالليل وقتل اكثر رجاله ، اما الذين نجوا فكانوا الملك وقلة من
الفرسان ، وقد دام القتال اربعين يوما ، فاما الملكة فارسلت تتضرع
الى ريمند حاكم انطاكية وجوسلين ، ولما سمع زنكي انهما يستعدان
ليأتيا اليه اصططح مع الملك ورجع .

بهذا الزمان طرد الملك محمد ايضا اخاه دولت واخذ منه ابلستين
وببلاد جيحان ودخل دولت لهنزيط ، ومن هناك الى امد الى عند
جوسلين ، وبقي يجول من ناحية الى ناحية .

وفي سنة ١٤٤٩ كانت الرها سجينه الاتراك الذين كانوا يسبونها
دائما ، وكانوا لا يتركون سكانها يدخلون ويخرجون بسهولة ،
فاجتمع في سميساط عدد كبير من الناس ليدخلوا اليها قوت ونخيرة ،
وكان معهم نحو ثلاثمائة فارس من الفرسان الافرنج المسلحين
بالرماح ، وكانت جملتهم نحو اربعة الاف نفر ، وكان معهم ابو سعد
الشماس الطبيب وفيلوس ، وبينما كانوا ماشين خرج عليهم الترك
من كمين بالليل بقيادة حسام الدين حاكم ماردين ، فقتل اكثرهم

واخذ الباقي عبيدا ومعهم ابو سعد وميخائيل ابن السممنة وابنه ، ولم يقدر ابو سعد ان يدرك من خلال صناعة التنجيم الباطلة ماذا سيحدث في ذلك اليوم ، واخيرا اخذ حسام الدين تمرتاش من الافرنج ايضا قلعة كسوس .

وفي هذا الزمان دخل السلطان مسعود الى بلاد كيسوم ونهب وسبي وخرج ، وبعد قليل دخل ، ولما رأى ان الجميع هاربون احرق القرى وتركها رمادا ، ومن هناك مضى الى مرعش .

في هذا الزمن تعرض للخطر دير مار ابحاي الذي هو دير السلام ، فقد كان في قلعة سويرك اناس من الارمن مالكين بها ، وكان جدهم بو غوص قد مضى في ابتداء خروج الترك الاول الى بغداد وخراسان واسلم ، واخذ رسائل من سلطان الترك الكبير ، ومن الخليفة ان يبقى ذلك الموضع ميراثا لاولاده ، وقد صارت كل اجيالهم بالتسلسل مسلمين .

وفي هذا الزمان كان هناك امير اسمه عيسى من بني بوغوص ، وكان دجالا وشريرا ويغض المسيحيين بغضا شديدا ، وكان يحقد على ميخائيل وقسطنطين الارمنيين اللذين في جرجر ، وكانا يسرقان ويخربان بلاده ، وهو كان بالمقابل يسبي وينهب بلاد جرجر .

ولما رأى ان الافرنج قد ضعفوا جمع الاتراك ودخل ونهب كل بلاد جرجر، فلما لم يجد في كل البلاد ما يكفي للاتراك من العلف والذخائر ، لان البلاد كلها كانت خرابا توجه الى الكنائس والاديرة لكي يؤمن حاجته منها ، فاتى اولا على دير مار ابحاي ، ولما لم يقدر عليه من ناحية شاطئ الفرات اصعد بعض الرجال الى اعلى الصخور ، ومن هناك نزلوا بالحبال ، وكانوا يقذفون حجارة كبيرة حتى كسروا جانب الهيكل ، وحينئذ خاف الرهبان فخرجوا اليه ، ولما تسلط كليا على الدير نهب واستولى على كل مقتنيات الدير من كؤوس وصواني فضة وصلبان ، وباقي الاشياء الموجودة هناك من زمان مار يوحنا بن عبدون .

وكذلك استولى ايضا على دير القناة واجلي المتوحدين الذين به الى دير شيرو ، وهم الربان داود ورفاقه ، ولم يبق سوى ابو غالب في دير مائده الملك .

لما مات محمود سلطان خراسان ملك اخوه مسعود الدجال القاسي ، وهذا حالما تملك خرج الى بلاد اشور وجعل طريقه على انزبيجان ، ودخل الى ما بين النهرين، ولما وصل الى دارا نصب خيامه عند البصرة .

وفي سنة ١٤٥٠ ملك محمد وجمع عساكره ودخل الى بلاد قيليقية واخذ من اليونانيين قلعتين: قلعة هاجاني وقلعة جينو فيرت، ثم دخل الى بلاد قاسينوس التي على شاطئ بحر بنطس ونهب وسببا كل الشعب وباعهم عبيدا، وفي تلك السنة صعد زنكي الى دمشق وضايقها جدا ، فالتجأ الى ملك القدس ، وزاد له الخراج فجاء لمعاونته فهرب زنكي .

وفي سنة ١٤٥٢ في تشرين اول دخل اترك ملطية الى اديرة زوبر وهي اديرة بيت قصب ونهبوها وخرجوا ولم يوجد من يردهم .

وفي شهر ايار اتى الافرنج لينتقموا لنهب الاديرة من اهل ملطية ، فوصلوا الى زبطره وعرقه فنهبوا ممتلكات المسيحيين لانهم لم يلتقوا بالترك ، وبعد ان مضى الافرنج دخل الترك في إثرهم فنهبوا وخرجوا ، وهكذا كان المسيحيون ينهبون من الطرفين .

ودخل الافرنج الى ابلاستين ونهبوا ممتلكات المسيحيين ، وقتلوا كل من صدقوه من الترك ، او اخذوهم اسرى ، فخرج الترك من هنزيط الى بلاد الافرنج فالتقوا بعشرين مسيحيا منهم القديس مطران قليسورا ، وكان يعبد في جبل ابدهور ، ولكثره حنقهم على المسيحيين ضربوا المطران ومن معه وربطوهم ليقتلوهم ، لكن فجأة سقط عليهم الخوف فهربوا وتركوهم مربوطين ، لكن المطران ومن معه استطاعوا ان يحلوا اربطتهم وهكذا نجوا ، اما الترك فلما

دخلوا الى تلك البلاد قتلهم الافرنج جميعهم بالسيف ، وكان الافرنج منتصرين في تلك الايام لانهم كانوا متفقيين .

وفي سنة ١٤٥٢ ايضا خرج ملك اليونانيين ليتحارب مع الترك ، فخرج للقائه الملك محمد وبقيت عساكرهم وجها لوجه ستة اشهر ، ثم ابتدا الملك يتقدم نحو نوقيسارية ، عند ذلك غضب الاتراك على المسيحيين الذين في بلاد مملكتهم ، فكان كل من يتلفظ باسم الملك ، حتى ولو بدون قصد ، كان يقتل بالسيف هو وبنيه وبناته وكل اهل بيته ، وكانوا يمارسون ذلك في باقي البلاد في ملطية ، الى ان عاد الملك الى مكانه ، لكنه لم يصنع لا قتالا ولا صلحا ، اما الملك محمد فقد دخل الى مرعش ونهب .

وفي تلك السنة خرج زنكي حاكم الموصل وصنع صلحا مع حسام الدين حاكم ماردين ، وقد تلاقى زنكي وحسام الدين وهما يركبان فرسيهما فنزل زنكي اولا عن فرسه ، ثم نزل حسام الدين وتحالفا وثبتا الصلح واستعدا للحرب مع داود حاكم حصن كيفا وطارناه ، فوجه متوجها الى امد ، ولما احس بهما احتمى بسور المدينة ، فاتيا من جنوب المدينة اولا ثم هجما عليه ، ونشبت القتال من الصباح الى الغروب ، وفي وقت المساء انكسر داود وهرب، اما عساكره فبعضهم قتل ، وبعضهم اسر ، وبعضهم هرب ، اما ابن داود سليمان فقد اعتقله زنكي واعطاه الى حسام الدين فارسله حالا الى ماردين ، ثم عادا من باب امد ونزلا على قلعة الصور (٢٨) قرب ماردين تحت حكم داود ، فاستعملا المنجنيقات الثلاث وصنعا بها ثغرة ، وبداء الحرب فضعف الذين في الداخل ، وطلبوا عهدا للسلام ، لكن الحاكمان رفضا حتى اخذوها حربا ، فقطع الوالي وعبيده كل واحد الى اربع اجزاء ، واعطى زنكي تلك القلعة لحسام الدين ، ثم زاد فاعطاه سيجا وذنو القرنين وساكن ، ومن هناك توجهها لبرعية، ولما علم بهما حاكم برعية خاف كثيرا وسلم القلعة الى حاكم امد ، ولما اتيا ونظرا حصانه الموضع الذي اعتصم به ، وكان كثيرون قد هلكوا في تلك الحرب تركوه وحلوا على امد واقسما ان

يخربا كل البلاد إن لم يسلموا القلعة، ولما تضايق حاكم أمد سلمه
لحسام الدين ومضى كل واحد لمكانه (٢٩)~

في سنة ١٤٥٠ في تشرين اول تراءت آية حمراء في السماء
ناحية الشمال ، وفي ذلك الشهر صار زلزال ضرب أبراج بزاعا
وأبراج حلب ، كذلك كان الشتاء قاسيا من كانون الاول الى شباط ،
وتجلد الفرات وصار الناس يمشون عليه وماتت البهائم والطيور من
البرد في المدن. وفي بركة الرقة كان اربعون فارسا يمشون فانخسفت
الارض وابتلعتهم وبقي واحد لانه كان قد خرج لقضاء حاجة
التغوط ، فلم يهلك معهم وبقي صوت صراخهم يتعالى وقتا ، وبهذه
الزلزلة انشقت بيعة حارم ايضا وقرية الاثارب التي في تخوم جبل
قورس ، انشقت في وسطها فخرج سكانها ، ثم انهارت .

وفي تلك السنة لم يات المطر الى نصف ايار ، فصارت الغلة
متاخرة ، وقد صار في يوم احد العنصرة برق شديد ، قتل امرأتين في
ملاطية واحدة كانت على السطح والاخرى في وسط السوق وطائري
حر وذلك في تسع ساعات ، وفي ليلة ٢٢ حزيران ظهرت نيازك حمر
من الجانب الشمالي الى الجانب الغربي .

وفي سنة ١٤٥٢ في ٢٩ تشرين اول صارت زلزلة وكان في العاشر
منه قد كسف القمر ، وحصل موت في ملاطية ففني الدجاج اولا ، ثم
الطيور ، واخيرا صار الاطفال يموتون بمرض الجدري .

وفي شهر ايار في عيد مار برصوم اتى برد صعب في هنزيط وفي
قلعة زياد ، كسر الاشجار والكروم ، وفي ذلك اليوم احرق البرق
صبي وبغل .

وفي حزيران من تلك السنة هبت ريح صرصر قلعت الاشجار ،
وسقط في بلاد ملاطية في ذلك الوقت برجان في قراها

وفي ذلك الشهر وقعت زلزلة في شاطيء البحيرة في مدينة قيليقية
الصغيرة التي تدعى كالينج ، وفي باقي الاماكن من تلك البلاد ، وفي
كل ساحل البحر ،

- ٢١٥ -

وفي سنة ١٤٥٢ يونانية منذ منتصف شهر اب الى بداية شهر
ايلول كانت تتراءى اشعة نورانية من الناحية الشمالية ، وفي الليلة
الثانية من ايلول خرج نور من الشمال الغربي ، وبرق كالشمس ،
فظن الناس ان السماء قد انشقت ،

وفي سنة ١٤٥٤ حرق البرد سميسماط كلها

اخبار البيعة في هذا الزمان

في سنة ١٤٥٤ يونانية اوفد البابا الروماني اونوريوس (٣٠) الثاني (١١٢٤ - ١١٣٠) احد كرادلته الاثني عشر الى بلاد المشرق للنظر في احوال الكنائس والاديرة في البيت المقدس وغيرهما ، غير ان ذلك الكردينال ما ان وصل الى القدس وباشر البحث والتفتيش حتى ادركته المنية ، وقيل انه قتل بالسم ، فغضب البابا واوفد بدلا منه احد مندوبيه الاربعة الكبار، فاصالح ما اصلح، وعزل البطريرك الانطاكي، واقام بطريركا اخر عوضا عنه وتوفق في الحصول على رغباته .

بيد ان الروم اللثام المعتادين على المساوىء والشرور قصدوا مندوب البابا المذكور ، واتهموا السريان شعبنا والارمن مدعين انهم هراطقة ، فارتحل المندوب البابوي الى دلك وزار غريغور جاثليق الارمن واستحضره الى القدس ، وعقد مجمعا صباح الاثنيين اليوم الثاني لعيد القيامة بحضور وليم بطريرك القدس واساقفه الفرنج والجاثليق واساقفة الارمن واغناطيوس مطران السريان وفئة من الرهبان ، وجوسلين وسائر الامراء والاعيان وارسلوا يستدعون اساقفة الروم ويقولون لهم انكم قد ادعيتم ان السريان والارمن هراطقة فهلما اثبتوا لنا دعواكم ، فكتبوا لهم الجواب اننا لانحضر المجمع لان ملكنا غير موجود فيه ، لكن الفرنج ارسلوا ثانية وثالثة يطلبون حضورهم فابوا وبذلك ابدوا بطلان مزاعمهم .

ثم ان الارمن كتبوا دستور ايمانهم ، وكتب السريان ايضا دستور ايمانهم ، وعرضوهما كليهما على المفوض البابوي وعلى ابناء المجمع فنقلوهما الى الايطالية وتلوهما على مسامع الحضور اجمع ، فاثبتوا عليهما ، واعلنوا انهما يشتملان حقيقة على دستور الايمان الارثوذكسي ، ولم يكتف الفرنج بذلك بل سألوا الارمن

والسريان ان يببرموا القسم بانهم لايعتقدون قلبا اعتقادا مخالفا لما ورد في نينك الدستورين ، فالسريان ايدوا ذلك امما الارمن فلامتزاجهم بالساليين والسيمونيين رفضوه ، وهكذا ارفض المجمع .

في سنة ١٤٥٣ صعد البطريرك ليصلي بالقدس فقام الترك ونهبوا كل البلاد بشكل فظيع فخربوا واحرقوا قرية حارم .

وفي تلك السنة مات حاكم قونية وملك عليها الملك محمود وفي سنة ١٤٥٤ في كانون الأول مات الملك محمود في قيسارية وامر ان يملك ابنه ذي النون ، فقامت امراته واحضرت اخاه يعقوب ارسلان وتزوجته وملك على سبسطيه، فهرب ذو النون إلى سمندو وصارت له قيساريه وملطيه، فأما دولت، الأخ الأكبر فأتى واتفق مع يونس حاكم مسارا ، وهاجما ملطيه فلم يفتحوا لهما لكي يدخلوا ، ولم يكن لهما القدرة على القتال فرجعا إلى عرقة ، وعند ذلك أرسلت الخاتون أرملة الملك محمود بألفي رجل لكي يحفظوا ملطيه ، ولما عرف الذين بها ان مع هؤلاء امر بأن يخرجوهم ويخرجوا اولادهم من بيوتهم ويجلوهم إلى سبسطيه ويستوطنوا موضعهم غضبوا وتسلبوا بالسيف ، وبينما هم يتجمعون في الأسواق خاف المسيحيون كثيرا ، واخذوا يختبئون في الأبار وتحت الأرض لأنهم لم يكونوا يعرفون ماذا يجري ، وكان يوم الأربعاء الأولي للصوم في ١٧ شباط ، فاجتمع الأتراك الذين في المدينة امام القلعة وطلبوا من الوالي مفاتيح الأبواب لكي يخرجوا ويحاربوا القادمين ، فرفض الوالي ان يعطيهم المفاتيح ، حينئذ هجموا وكسروا قفل الباب بالهؤوس وكان يسمى الباب بوريديه ، أما الذي كسر القفل فكان اسمه (بوري) ، وقد تزعم الذين نهبوا ، أما الباقي فقد وقفوا يحرسون الباب ، فمضوا وأحضروا دولت في اليوم عينه ، ولما نظر الذين في سبسطية هربوا ، وخرج الوالي وسجد لدولت الذي دخل وملك المدينة فاصطلحت واستراح الأهالي .

وبعد مدة مضى دولت إلى أخيه يعقوب ارسلان واتفقا ، وأتى اخذ

أبلاستين وملك أيضا على بلاد جيحان ، ولما سمع السلطان زحف غاضبا ضد يعقوب أرسلان ، فخاف ذاك وهرب إلى الجبل أما السلطان ، فحرب سبسطيه ، ورجع وأرسل دولت لكي يأتي فيقدم طاعته فيعطيه بلادا أكثر ، لكن دولت لم يذهب وأرسل زوجته التي هي بنت أخي السلطان ، وتضرعت إليه ، لكنه لم يقبل ونزل على ملطيه في ١٧ حزيران ، وبعد أن نصب عدة أبراج للحرب سقطت ، فتردد وقرر عزمه ولم يحارب بشدة ، وبقي ثلاثة أشهر ، كان دولت خلالها يصادر أهل المدينة وخاصة الرؤساء ويعطي جنوده ، وحدث فجأة في ليلة عيد الصليب في ١٤ أيلول أن أحرق السلطان المنجديقات ، وارتحل فشعر أهل المدينة بالراحة .

في نيسان من تلك السنة خرج يوحنا ملك اليونانيين إلى قليقية ليصطاد كالعادة وأخذ سهما مسموما ليضرب به خنزيرا في الغاية فأخطأ في ضربته ، ودخل بيده ففسار السم في جسمه ومات .

وبعد مدة خرج أيضا ملك الأفرنج الذي بالقدس ليصطاد فطارد أرنيا فسقط من عزم الضربة عن الفرس ، ومات، وعندما لحقوا به وجدوا رأسه داخل جثته .

وفي هذه الأيام مات داود حاكم قلعة زياد ، فهؤلاء الأربعة ماتوا في تلك السنة : ملك اليونانيين ، وملك الأفرنج ، والملك محمود ، وداود .

لما توفي يوحنا ملك اليونانيين في قليقية كان ابنه الكبير بعيدا عنه في مدينة المملكة ، فأمر أن يملك ابنه الأصغر فملك منويل ، وكان ذلك في نيسان سنة ١٤٥٥ يونانية .

ولما دخل القسطنطينية قبله أخوه وسجد له وثبتت له المملكة ، وفي تلك السنة مات أيضا ملك القدس وملك ابنه بلدوين لكنه كان طفلا فأخذت أمه تدبر المملكة .

وفي هذا الزمان توفي داود الأمير حاكم قلعة زياد وقام بعده ابنه

الأصغر قرا أرسلان ، وكان ابنه الأكبر عند زنكي فلما سمع زنكي قدم ومعه أرسلان طغميش بن داود وقدم السلطان مسعود فأخذ حانتي ، ثم تحرك فأخذ أبلستيين وكل بلاد جيحان ، وبعد هذا حل على ملطيه ، وجاء معه يعقوب أرسلان ، ولما كان السلطان متوجها إلى ملطيه أتى إليه قرا أرسلان بن داود وطلب منه أن يساعده لمواجهة زنكي الذي توجه نحوه ، فأعطاه السلطان عشرين ألف فارس ، فمضى للقاء زنكي ، ولما سمع زنكي أن عسكر السلطان متوجهين نحوه رجع إلى أرضه ، ورجع كذلك قرا أرسلان فاسترجع بلاده التي كانت انتزعت منه فجلس السلطان في ملطيه ثلاثة أشهر دون أي قتال .

وفي منتصف آب ليلة عيد انتقال والدة الرب امر عساكره أن يستعدوا للرحيل ، فجهز كل واحد حاجاته ، ورحلوا صباحا بعد أن نهبوا البلاد بأسرها ، وخلال هذا الصيف ، عندما كان السلطان متوجها إلى ملطيه ، أتى جوسلين إلى دير مار برصوم ليصلي ، فرأى شعب بلاد قلوذيه هاربين من أمام جحافل السلطان ، فلما سمع بكثرة عساكره رجع مسرعا إلى أرضه .

وفي سنة ١٤٥٥ في ٢٦ من تشرين الأول ليلة الجمعة صار زلزال فدمرت البيوت في مدينة قونية القريبة من مملكة القسطنطينية ، وخاف السكان وجف النهر الداخل إلى المدينة ، وبعد ثلاثة أيام وبينما كان يجتمع ماتبقى من الشعب ليصلي صار زلزال وفاض النهر وعاد للجريان .

وفي تلك السنة في ٢٣ أذار ليلة خميس الأسرار تراءت أية مخيفة في الغرب بعد غروب الشمس شبه الريح ، ومكثت نحو ثلاث ساعات وقد تراءت سبعة أيام ، وقيل إنها تدل على الدم .

انتزاع الرها من يد الافرنج

حول زمان المحنة الاليمية التي نزلت بالمدينة الواقعة بين
النهرين ، مدينة المسيحيين المجيدة التي ضربها سيف الترك ، وقد
سمحت العدالة بذلك لأجل خطايانا .

لما طرد زنكي حاكم قلعة زياد ذهب إلى جوسلين وأعطاه قلعة
بابولا (٣١) لكي يعينه على زنكي كما ساعده السلطان مسعود ، لكن
جوسلين لم يحسب أنه ليس من مصلحته أن يعادي الترك لأجل
هذا ، وأرسل عسكريا لمساندة قرا أرسلان فحقد عليه زنكي .

ولما مضى جوسلين إلى أنطاكية وصار بعيدا ، أعلم أهل حران
زنكي أنه لا يوجد عسكري في الرها ، فجمع زنكي جيشا عظيما ،
وأقبل سنة ١٤٥٦ يونانية يوم الثلاثاء في ٢٨ تشرين الثاني على
الرها بألوف ، وأقاموا معسكراتهم عند باب الساعات بجانب بيعة
المعترفين ، وأرسل إلى أهل المدينة قائلا : سلموا حتى لا تهلكوا لأنه
ليس لكم مهرب، وكان بها رئيس من قبل بابا الفرنج فأجابه إننا
لانسلم ، وقد قال ذلك لأنه كان قد أرسل رسلا إلى أنطاكية والقدس
ليأتوا ويخلصوا المدينة المحاصرة .

فأما زنكي فقد بدأ حربه في أول كانون الأول بعد أن هيا سبعة
منجنيقات يلقون الحجارة والوف وربوات من العساكر يرمون
السهم كسقوط حبات المطر ، وكان أهل المدينة والشيوخ والصبية
والرجال والنساء ورهبان الجبل يقفون على الأسور ويقاثلون ، ولما
رأى زنكي أن الشعب يقاوم بكل جبروت أمر أن يحفروا تحت
الأرض نفقا يصلهم بالأسور ، وحفر أهل المدينة نفقا مقابلا من
الداخل واشتبكوا داخل النفق وتكومت جثث القتلى ، فعزف زنكي
عن ذلك وعاد الرهاويون وبنوا سورا داخليا ثانيا وخاصة حول
الحفرة التي حفروها ، أما الأتراك فقد حفروا حفرة تصل بين

البرجين وملؤها بالخشب ثم أرسل الأتراك من يقول للرهبان
خذوا منا رجلين وأرسلوا لنا رجلين ينظرا الحفرة تحت البرجين
اللذان اخذا يتداعيان ، وانصحكم أن تسلموا المدينة قبل أن اخذها
بالسيوف .

اما هم فقد هزئوا وسخروا به لأنهم كانوا مطمئنين إلى قدوم
الفرنج لنجدتهم ، عند ذلك أشعل الأتراك النار بالأخشاب ، فتداعى
البرجان ، وحدثت معركة طاحنة امتلا فيها الجو بالدخان ، واختلط
فيها صليل السيوف بصراخ الرجال والنساء والأطفال .

ولما اكتمل احتراق الخشب وسقط السور والبرجين وظهر السور
الجديد اندهش الأتراك لكنهم وجدوا أنه قد بقيت فجوة بين السور
الجديد والسور العتيق ، فاجتمع عسكر الترك حول هذه الفجوة
يريدون الدخول منها فتصدت لهم جموع المدينة مع الأسقف
والمطارنة من الداخل وحدثت معركة طاحنة امتلات فيها الثغرة بجثث
القتلى المهاجمين من الخارج والمدافعين من الداخل ، وبينما كان
الشعب كله مشغولا في الدفاع عن الثغرة بقي السور فارغا من
المقاتلين ، فنصب الأتراك السلالم وصعدوا ، وكان أول المتسلقين
مقاتلا كرديا ، ولم يشعر الناس إلا والأتراك في وسطهم فوهنت
عزائهم وولوا هاربين إلى القلعة الداخلية .

وهنا وقعت المجازر ، ولست أدري كيف يستطيع اليراع أن
يصف هول وفضاعة ماجرى خلال ثلاث ساعات من يوم
السبت ٣ كانون الأول ، لقد كانت مذبحه شرب فيها الأتراك دم
الشيوخ والصبيان والرجال والنساء والكهنة والشمامسة والرهبان
والراهبات والأطفال والمرضعات والعرائس . يالللخطب المرعب لقد
استولى الخنزير الأثوري على الرها وداس العنب الحلوى يا للفاجعة
الكبرى ويا للهول المؤلم ، لقد كانت فاجعة مروعة امت بمدينة أجر
خليل المسيح ، داسها العدو بسبب أثامنا ، فقتل الكهنة وذبح
الشمامسة ، ولقد تهدمت الهياكل والبيع . وكانت بالحق فاجعة سي

فيها الآباء الأبناء ، والأمهات الأطفال أمام السيف الذي كان لا يميز أحدا ، ولقد كانت الأمهات يجمعن أولادهن كما تجمع الدجاجة فراخها انتظارا للموت أو السبي ثم العبودية ، أما بعضهم الآخر فقد فر إلى رؤوس الجبال .

أما الكهنة فكانوا يتراكمون مرددين قول ميخا النبي : إنني احتمل غضب الرب لأنني أخطأت إليه (ميخا ٧ : ٩) ولم يوقفوا صلواتهم وابتهالاتهم حتى أسكتهم السيف ، ومن ثم وجدوا وقد ضرج الدم ثيابهم وصناديق عظام القديسين بين أيديهم .

أما الذين هربوا الى القلعة فلم يستطيعوا الدخول لأن الحراس الأفرنج أغلقوا أبوابها وقالوا لن نفتحها حتى نرى الأسقف لكن الأسقف لم يستطع تخطي الناس ، فمات عدد كبير من الناس بين الزحام وتحت الأقدام وتكومت جثث القتلى الذين قضوا بها تلالا عند باب القلعة ، وعندما وصل الأسقف أنفتح الباب لكنه لم يستطع الدخول بسبب الجثث المكومة أمام الباب من كثرة الزحام فاصطاده أحد الأتراك بسهم وقتله .

ولما رأى زنكي تلك الفظائع أمر أن يتوقف القتلى ، حينئذ أحضروا المطران باسيليوس وهو حاف وعار ، ويجره تركي بحبل ، ولما رأى زنكي أنه شيخ وقور سأل : من هذا ؟ فأعلموه أنه مطران فأخذ يعذبه لأنهم لم يسلموا المدينة ، أما هو فأجاب بشجاعة . لقد كان لك شرف غلبتنا ، لكن يجب أن يكون لنا شرف عندك لأننا لم نغدر ولم نحدث بأيماننا ، وكما حفظنا عهدنا مع الأفرنج فإننا الآن سنحفظ عهدنا معك بعد أن صرنا عبيدك ، ولما رأى جراته وهو يتكلم باللغة العربية الفصحى أمر فالبسوه قميصه وأدخلوه الخيمة وجعله مستشاره لاعادة بناء المدينة ، ثم أخرج مناديا يقول على كل من نجا من السيف أن يرجع الى بيته .

وبعد يومين طلب الأمان كل من كان بالقلعة فأعطى لهم الأمان ، لكن فقط لمن بقي على قيد الحياة من شعبنا ومن

الأرمن ، أما الأفرنج فقد قتلوهم كلهم ، أما ما تبقى من قصص تلك الكارثة فلن نرويها ، بل نترك لأرميا النبي ولأمثاله الذين أفاضوا في المراثي أن يعودوا وينوحوا على ذلك الشعب الذي يستحق كل شفقة ورحمة.

وفي الوقت الذي استولى فيه زنكي على الرها كان الوالي على نصيبين اسمه تمرتاش، فلما انتصر زنكي هذه الانتصارات وقوي كثيرا خاف هذا الوالي أن يهاجمه زنكي ، ويأخذ أراضيه ، فأمر بهدم كل قلعة لم يستطع أن يحميها ، فتهدمت في هذا الزمان قلعة جرجر وقلعة تلبسمه ، وقلعة تل شيخ والقلعة التي بقرب دير مار حنانيا ، والمدعوة قلعة المرأة.

وحاول أن يخرب سرجه عند نصيبين فلم يستطع أبدا وذلك لقوه ومثانه بنائها العتيق ، فهدم فقط البناء الجديد الذي كان قد بناه هو ثم تركها خالية .

في هذا الزمان تمردت قلعة تدعى الهتاخ ، وهذه القلعة لم تكن بأيدي الترك بل كانت بيد واحد من سلالة بني مروان الذين كان لهم اسم مملكة ، وكروسي بميفارقين ، وقد حدث بين حكامها خلاف تلتته حروب انشيقوا فيها على بعضهم، فلما رأى حسام الدين أن ليس لديهم أكراد يحاربون في صفوفهم ، وهم في الوقت نفسه منقسمون على بعضهم بعضا حاصر قلعة الهتاخ لمدة سنة وأربعة أشهر ، ثم طلب أحمد بعض الأراضى ، فأعطاه تمرتاش ذهباً وقرى من أقطاعاته مع القلعة، لكن هذا الكردي مال بث أن ندم فالتجأ إلى حاكم أمد لكي يعيد له القلعة ، لكنه لم يفلح.

وبعد أن سقطت الرها خرج أرسلان طغميش بن داود صاحب حصن زياد من عند زنكي ، وحل على تل أرسانيوس طالبا أن يسلموه له ، لكنهم رفضوا لأن أولادهم كانوا رهائن في قلعة زياد ، وقد ذسيبوا ما حدث لأهل الرها عندما عاندوا الترك وجابوهم دون أن يكون هناك من يساعدهم فصاروا جميعهم

عبيدا ، وهكذا حارب أهل أرسانيوس واستعبدهم وباعهم وكانوا نحو خمسة عشر ألف، بعضهم اجتمع خارج البلدة وبعضهم الآخر مع اسقفهم، وكان اسمه طيمثاوس.

وفي تلك السنة عندما أخذ الافرنج يتجمعون لنجدة مدينة الرها ، وصل اليهم خبر خرابها ، فحزنوا جدا عليها ، لكنهم مضوا نحو تل أعذى (تلعدا) (٣٢) فاجتمع عليهم الترك هناك ومنعوا عنهم القوت ، فتضايقوا من الجوع وهربوا، وحينئذ ترك أهل سروج المدينة وهربوا فدخل اليها الترك.

اما زنكي فبعد أن احتل الرها توجه الى البيرة ، واما جوسلين فقد ذهب الى القدس ليجمع جيشا ، لكن فتنة اشتمت على الموصل وأخرجوا الصبي ابن السلطان الذي كان محبوسا وقتلوا نصير الدين نائب زنكي ، ولما سمع زنكي ترك البيرة ومضى الى حلب ، واصطالح مع الافرنج ، وبذلك نجت البيرة منه. وبعد هذا ارسل زنكي رئيس عسكره زين الدين واصلاح الحسالة بالموصل ، ووضع ابن السلطان بالسجن مره اخرى فعاد وتقوى مركز زنكي ثانية.

لما ظهرت صحيفة مطران ماردين لتوضح أن خراب الرها لم يكن بأمر الله ، قام اياونيس اسقف كيسوم وابن اندراوس وعدد كبير آخر كتب كل واحد كتابا رد فيه على كلام مطران ماردين ، ولما وصلت الصحيفة التي كتبها مطران ماردين الى ملطية تصدى لها القسيس صليبيا ايضا ، وهو معروف بأدبه وطلاقته ، وكان علما في جبله ، وضع كتابا رد فيه على مطران ماردين ، وكان قد ورد في كلام مطران ماردين ، انه ليس كليا بإرادة الله تأتي القربات والالطاف فيلقي عنايته الكل ، واذا علينا أن نفهم أن الارادة لها انواع ، والأمر له انواع والسماح له انواع ، وهذا كلام باطل يثبت بطلانه بشهادات الآباء الالهيين الذين يقتدي بهم.

إن السبيل المقصود لنا في هذا الكتاب ليس هذه الأمور بل لنوضح

فقط ماذا صار وماذا حدث في كل زمان حتى لا يكفر القارىء إن انتقل الضمير من خبر الى خبر ، وهذا ما قصد ايضاحه .

اما من يريد أن يفهم الصحيح حول هذا الخبر فليقرأ الكتاب الذي جمعه البار مار ديونسيوس مطران أمد ، أي يعقوب بن الصليبي ، لأن كل شيء مفصل فيه بشكل جيد وموضح بالتحقيق وفقا لرأي المعلمين الحقيقيين .

وكتب ديونسيوس المطران ، وكان بعد شماسا للمطية قصيدتين بلحن مار يعقوب حول سقوط الرها .

وكتب ايضا باسيلوس مطران الرها ثلاث قصائد عن الرها لأنه كان حاضرا بها في المحدثين ، وقد كتب بالتفصيل حول ذلك ، وكل من يريد أن يتعرف على ما حدث فليقرأ هذه الميامر الخمس .

ويوم الخميس في ١٣ كانون ١٤٥٦ أي في الشهر الذي سميت فيه الرها وقعت نار في دير القرايط في بلاد خرشنة، واحترق بها شيخ راهب، أما البقية فقد نجوا من هذه النار .

وفي ذلك اليوم ايضا احترقت قرية في بلاد مرعش .

كذلك يوم الجمعة من الشهر عينه أيضا وقعت نار في دير مار برصوم فأحترقت فيه ثلاث غرف .

وفي اول ايار تراءى كوكب مذنب في الساعة الحادية عشر من الليل ، وكان ذنبه تجاه اليمين ، وبقي سبعة أيام ثم تراجع وعاد فترأى في المغرب سبعة أيام أخرى ، وفي ٢٤ ايار يوم عيد الصعود وقع زلزال شديد .

وابتدا في هذا الزمان بلدوين الفرنجي حاكم كيسوم ببناء سورها بحجر وكلس ، وكان من قبل مبنيا بالطوب المجفف والطين ، وقد أثقل نير الظالم على المسيحيين ، حتى أنه حول الكهنة الى عبيد ، وقد بنى نصف السور فقط ، ثم قتل فأوقف البنيان .

مقتل زنكي

في سنة ١٤٥٧ لما رأى الفرنج أنهم ضعفوا مضى ريموند حاكم انطاكية القسطنطيني الى منويل ملك الروم اليونانيين وطلب الغفران عن الخطيئة التي أخطأها مع ابيه ، لأنه سمع أن أباه أمره أن ينتقم من الأفرنج ، ولما أظهر التذلل والندم أكرمه وأعطاه ذهباً ، وأغدق عليه الهدايا الكثيرة ، وأرسله الى مدينته ، لكنه طلب من الملك أن يهب لمعونه المسيحيين.

أما زنكي فقد جاء الى الرها ومكث يومين احتفى بالسريان الذين بها ، وعامل المسيحيين المجتمعين فيها بكل محبة ورحمة وشفقة ، ثم مضى الى قلعة جعبر على شاطئ الفرات ، لكن المولى العالي سخط عليه ، وحكم عليه بما لا يعرف، فقام أحد عظماء عسكريه مع اثنين من الخصيان المقربين اليه وقتلوه بعد أن أكثر من شرب الخمره ونام ، وكان ذلك ليلة الأحد في ١٥ - ايلول بعد أن ملك في الموصل وفي البلاد الأخرى تسع عشرة سنة وملك على الرها سنة وعشرة أشهر ، فأما الذين قتلوه فدخل واحد منهم الى قلعة جعبر ، ونجا ، وهرب الآخر الى قالينيقوس ، أما العساكر فتفرقوا .

أما اولاد زنكي فقد تفرقوا وتولى كل واحد منهم ناحية :حيث ملك محمود المدعو نور الدين مدينة حلب ، وملك الآخر المسمى غازي سيف الدين مدينة الموصل .

وقد صارت فوضى في البلاد ، فخرج لصوص الأتراك في كل مملكة زنكي ونهبوا بغير شفقة كل ما وجدوه .

وبهذا الزمان سبى دير قـرتمين (٣٣) وقتل منه أربعة رهبان ، ودخل بهذا الزمان قرا أرسلان صاحب قلعة حصن كيفا

الى طور عبيد (٣٤) لانها كانت فيما مضى لابييه ، ثم انتزعها منه
زنكي ، فعاد وتسلط عليها بعد ان قتل بها خلق لا يحصى عددهم
وقام في الموصل اناس اجتهدوا ان يملكوا بها لان ابن السلطان
كان محبوبا بها ، فقام زين الدين بكل عنف وكسرهم وقتل
اكثرهم ، وعاد فحبس ابن السلطان ، وملك بعد وفاة زنكي سيف
الدين غازي ابنه •

واقعة الرها الثانية

لما عرف الافرنج بمقتل زنكي عام ١٤٥٨ اجتمع جوسلين وبلدوين حاكم كيسوم في تشرين الاول وارتحلا الى ناحية الرها ، فتلسق رجال الافرنج ليلا على سلام كانت مع رجال من الارمن كانوا يحرسون السور ، ودخلوا المدينة فلما فوجيء الترك هربوا والتجأوا الى القلعة الداخلية ، وفي الصباح فتح الباب المسمى باب الماء ، ودخل منه جوسلين ، وكان ذلك يوم الاثنين في ٢٦ تشرين ، لكن الأتراك سرعان ما أرسلوا يطلبون النجدة من حلب والموصل ، ولم تمض ستة أيام كان الافرنج فيها ما زالوا يفكرون كيف سيقتمون القلعة الداخلية ، حتى أطبق عليهم الأتراك من كل ناحية وصوب كالجراد الذي لا عد له ، فلما رأى الافرنج ذلك خافوا وارتعدوا ، لقد ابتعدوا عن طريق الرب واندفعوا في طريق الخطيئة ، فصار الله خصمهم ، فجمعوا كل شعب المدينة الشقي وساقوه امامهم ، وكان ظنهم أن يفلتوا من براثن الترك الذين كانوا يحيطون بهم في كل مكان ، ولقد كان شعبنا الذي لا يعد ولا يحصى يساق سوق الأغنام والدواب ، وفجأة لم يروا الا الأتراك حولهم ، فعندما كانوا وراء الأسوار وخلف المتاريس لم يستطيعوا أن يقاوموا الترك ، فكيف سيجابهونهم في وسط الصحراء؟ لقد قسيت قلوب الافرنج فجروا هذا الشعب المغلوب في الساعة الثانية بعد منتصف الليل بعد أن أشعلوا النار في بيوتهم ومدينتهم ، وعندما شاهدوا ذلك أخذوا يصرخون ويبكون ويترحمون أو يحسدون الذين ماتوا في المرة الأولى ، لأنهم لم يروا تلك النار التي أشعلها الافرنج لتحرق أرزاقهم وأموالهم والسيف المسلط فوق رؤوسهم ، ومات العديد منهم دهسا تحت خيول الافرنج في قلب الظلام ، أما الذين لم يخرجوا بسبب ضعفهم أو شيخوختهم ، وكذلك الذين اجتمعوا في البيع وفي الأقبية والدهاليز فقد انقض عليهم الأتراك الذين في القلعة الداخلية وأخذوا يعملون السيف في رقابهم ، فلم يبق منهم أحد ، أما

الذين أخذهم الفرنج الى الخارج فقد تركوهم وهربوا ، فأحاط بهم الأتراك ، وبالهول ما حدث وفضاعة ما جرى ، كانت الدماء تسيل كالأنهار والصراخ يعلو حتى يشق عنان السماء ، ولقد كانت ليلة ليلاء المت بالرهاويين ، لقد بقيت السهام تخرق أجسامهم وحوافر الخيل تسحقهم ، والسيف يقص رقابهم طوال الليل ولمدة ست ساعات .

أه يا اخوتي من لم يبك اذا سمع ، لقد هرب فرسان الافرنج الاشقياء وتركوا هذا الشعب الأعزل بعد أن ساقوه الى حتفه ووضعوه في جحيم المعركة ، والتجأوا الى قلعة خربة مهجورة تدعى حصن كوكب ، واستطاع أن يهرب معهم ألف رجل من الذين استطاعوا الركض ، حينئذ وبعد أن تعب الأتراك من القتل وملوا أوثقوا الباقين بالحبال بعد أن نزعوا عنهم ثيابهم واسلحتهم ، أوثقوهم حفاة عراة رجالا ونساء بأذناب الخيل والعصي فوق رؤوسهم ليسرعوا مع الخيل ، أما من كان يقع على الأرض فكانوا يشقون بطنه بالسيف .

لقد قسا الزمان على المسيحيين فتكومت جثث الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات والفقراء والأغنياء ، وعلى الرغم من أن موتهم كان مريرا لكنهم لم يتعذبوا كالذين بقوا على قيد الحياة ، لقد ملأت الجثث البراري حتى انتن الجو ، وصارت مأكلا للحيوانات المتوحشة وللطيور الجارحة ، وامتلات بلاد آشور بالأسرى ، أما بلدوين حاكم كيسوم فقد قتل ولم توجد جثته ، أما جوسلين الأثيم فقد فر الى سميساط ، ونجا ، وكذلك هرب المطران باسيلوس ونجا ، أما مطران الأرمن فقد قبض عليه مع عدد كبير من جماعته .

وكان الافرنج قد التجأوا الى قلعة كوكب كما قلنا ، فلاحق بهم الأتراك لكن السماء كان قد أدركهم فتركهم الأتراك وتوجهوا للنهب والسبي لأن هذه البقعة كانت مملوءة مالا وذهباً ، ومقتنيات منذ أجيال كثيرة ، حملها أصحابها من تلك المدينة المذكورة التي كانت تتعرض باستمرار للغزو .

وعندما عاد الترك الى القلعة الخربة كان الافرنج قد خرجوا تحت جنح الليل في الليلة نفسها ، ووصلوا الى سميساط ونجوا .

وقد كان تعداد الذين قتلوا في المرة الاولى والثانية ثلاثين الفا تقريبا ، وكان تعداد الذين أسروا ستة عشر الفا ، والذين نجوا الف رجل وامرأة واحدة ولم ينج أي ولد، وقد تبدد أهل الرها في طول البلاد وعرضها ، وبقيت هذه المدينة خالية خاوية ترزع الناظرين وتقص عليهم ما جرى لها ، ثم أصبحت مأوى للوحوش وباقى الحيوانات ، ولم يدخلها سوى الذين كانوا يأتون اليها من أهل حران بحثا عن الخزائن المطمورة والمتاع والمقتنيات التي كان لها أصحاب يوم ما .

الحملة الصليبية الثانية

لما سمع من في ايطاليا اخبار الفطائع التي وقعت بالرها اجتمع الافرنج وتوجهوا الى المشرق بأعداد كبيرة لا تحصى ، وكانوا بقيادة ملكين كبيرين وبعض القمامصة ، فأقبل ملك الالمان (٣٥) مع تسعمائة الف فارس وملك فرنسا مع خمسمائة الف فارس مع شعوب أخرى مختلفة الالسن.

فلما سمع بهذه الحملة الكبيرة ملك اليونان منويل خاف اذا دخلوا البحر وملكوا ان يطيحوا بمملكة اليونانيين ، فاتفق مع الاتراك على ان يعيق قدومهم ، واستطاع ان يؤخرهم سنتين لكنهم في سنة ١٤٥٩ يونانية هاجموا القسطنطينية بعد ما عرفوا باتفاق اليونانيين مع الاتراك وحاولوا تخريبها غير ان ملك اليونانيين اعطاهم ذهباً كثيراً ، وعاهدهم ان يرسل معهم مرشدين يدلوهم على الطريق فكفوا عن قتالهم له ، بيد ان ملك اليونانيين غدر بهم فساقهم ادلاؤه في طرق جبلية وعرة قاحلة لا ماء فيها ولا خضراء ، ثم تركهم اليونانيون وانسحبوا ، فتاه الافرنج وبقوا خمسة ايام يسسرون دون ان يعرفوا الى أين ، فهلك الوف منهم عطشاً مع خيلهم ودوابهم ، ولما عرف الاتراك بهم وبحالتهم انقضوا على شتاتهم في تلك المسالك الوعرة ، واخذوا يفتكون بهم جمعا وفرادى حتى تعب الاتراك من كثرة القتل ، وقد امتلات بلاد الاتراك من ثياب الافرنج ومتاعهم ومقتنياتهم ، حتى بيعت الفضة بملطية بسعر الرصاص.

أما الفرنج الذين هربوا من المعركة فقد وصلوا الى شاطئ البحر منهكين جائعين ، فأخذ اليونانيون يخلطون القمح بالكلس ويطعموه لهم ، وسرعان ما كانوا يسقطون أمواتا ، وقد قتل اليونانيون الوفا منهم بهذه الطريقة.

وقد صار ما جرى حكاية للأجيال القادمة تحكي ان شعبا عظيما وكثير العدد قد غلبه شعب أقل منه عددا وعدة بواسطة الحيلة.

أما ملك رومية فقد مرض ومات ، ونجا ملك الألمان مع ثلاثة من القمامصة فذهبوا الى القدس ، وبعد أن أقام هناك عدة أيام زحف إلى دمشق فأرسل معين الدين أنر صاحب دمشق وأهل دمشق إلى

ملك القدس سرا يقولون: اتظن أن هذا الملك الكبير اذا استولى على دمشق سوف يتركك في القدس ، نحن أخبر منك بهؤلاء ، خذ منا هذا الذهب وادفع بهؤلاء الى البحر لتتخلص منهم ، وتصون نفسك ومملكك ، ثم أعطوه مائتي الف دينار ، وكذلك أعطوا حاكم طبرية خمسين الفا ، فلما أخذوا الذهب ورجعوا الى القدس وجدوا الدناير نحاسا مطاليا بذهب مصري فحزنوا وندموا على فعلتهم ، أما ملك الألمان لما نظر انه وقع ضحية حيلة فاضحة رجع الى بلاده يجر أنيال الخيبة والاحفاق ، وهكذا لحقتهم لعنة نهاية الرها التي خربوها ضد ارادة الرب.

قصة دمار الرها حسبما كتبها البار دونسيوس مطران

أمد

قال : لقد حل بها الخراب والفناء بسبب المسيحيين أنفسهم ، لأن الله أراد أن يؤدبهم ، لأن الأعداء لا يمكن أن يقهروا المسيحيين بدون سماح الرب وموافقته ، وقد يقول بعضهم إن هذا تجديفا ، لأن الرب لا يسمح بهلاك جبلته ، ولا يسمح للأعداء أن يسبوا العذارى ويقتلوا الناس ، لكن الصحيح إن الرب أمر بذلك لأننا تركنا طريقه التي هي تجلب لنا ما نستحق ، فإن أردنا الخير يعيننا الله العلي العظيم ويمسك بيدنا على كماله ، وإن أردنا الشر فيقودنا الشيطان الى هلاكنا مثل أهل الرها الذين نكبوا في المرة الثانية نكبة أشد وأفظع من المرة الأولى ، فإيا أيها البشر لاتظنوا أن هذا قد حدث بسبب خطيئة شعبها فقط ، وإنما بسبب خطايا كل الناس في كل مكان، مثل عكار الذي أخطأ وحده فأتى العقاب على كل قبيلته، وأولاد عيلي الذين قتل بخطاياهم أسباط بني اسرائيل ، فعندما يخطيء القليلون الحقيرون ينسحب عقابهم على كل الشعب ، فكيف بالحري في هذا الزمان الشرير الذي كل واحد انحرف عن الحق ، وعمل الاثم وابتعد عن العفة ، لذلك أدبه الله ، ولذلك يا أخوتي علينا أن نخاف ونفرع ونطرح عنا الخطيئة ، ونفكر بالروح ، وليس بالجسد وإن ما حدث من الغضب يكفيننا الآن .

قصة الرها من تاريخ باسيليوس مطرانها

بعد الطوفان الذي صار في أيام نوح بنى الرها الملك نمرود ، وكان في بني كنعان ودعاها « اور » اي القرية ثم زاد الكلدانيون بها اللاحقة - «ها» فصارت تعني قرية الكلدانيين مثل اورشليم التي تتألف من اور وشليم ، أي قرية شليم .

وقد ازدهرت الرها وأخصبت وبقيت زمانا طويلا هكذا ، ثم خربت وانتهت ، يقول يعقوب الرهاوي عن خرابها : على حسب الظن ان الرها خربت في أيام صعود سنحاريب الى دمشق ، وبقيت مهجورة الى أيام الاسكندر ، حيث أعاد بناءها العمال الذين صعّدوا معه من مكدونية وسموها « اديسا » اي المحبوبة على أسم مدينتهم التي في « مكدونيا » .

وبعد ثلاثمائة سنة ملك فيها الملك ابجر بن معنو الذي أمن بالمسيح ، وبعد أبجر وأولاده حكمها ملوك رومانيا ، وكانوا بعد وثنيين يسجدون للأصنام ، وقد بقيت تحت حكم هؤلاء سبعين سنة أخرى وبهذا الزمان استشهد المعترفون المتشرفون شموه وجوره وحبيب وقزمان ودميان .

ولما ملك الملك قسطنطين عظمت بالمسيحية ، وبنوا بها هياكل عظيمة ، وحين ملك يولييان الوثني لم يستطع ان يستعبدها ، لاهو ولا أويس الهرطوقي ، وبعد هذا عاشت الرها في سلام أبان الفترة المسيحية وحتى عهد مرقيان الهرطوقي .

وكثر الاضطهاد في أيام يوسطنيان والذين بعده -

وفي أيام هرقل صارت في أيدي العرب منذ أيام عمر بن الخطاب ، ثم انتقلت الى أيدي الترك وبقيت نحو من أربعين سنة .

وفي أيام العرب تهدم سورها الحصين الذي بناه سلوقس ، وقد وصفه مار أفرام ، أما سبب هدمه فهو لما بنى المنصور الدوانيقي ، قصرا في الرقة ارسل فطلب من الرهاويين اعمدة صغيرة من الرخام من بيعة الخبيزة ، فرفضوا ان يعطوه فحقد عليهم ، لكن هؤلاء من خوفهم عصوا عليه ، فزحف ضدها وخرب هيكل مار سرجيس ، وحينئذ ذهب بعض أهاليها سرا اليه ، اما هو فأقسم أنه لن يقتل او يسبى او يغير اي شيء ، لكنه سوف يأخذ من المدينة حصانا ابيض وينبجه علامة للانتقام فقط ، أما هم فلم يفهموا ماذا كان يقصد بكلمة حصان حتى دخل وتملك ، حينئذ أخبرهم أنه قصد بالحصان الحصن الذي اسمه حصان فهدمه ، وكان سورا عجيبا ، ولم يترك سوى نبعاً واحداً تخرج منه مياه الطواحين .

وبعد اربعين سنة في أيام المأمون أعاد بناءه ابو شك الجوني الذي عصى على المأمون .

وبعد مدة ملكها اليونانيون بواسطة رجل اسمه سالمون ، خان الأمير وسلم القلعة العالية التي كان يناوب بها الحراس الى رجل يوناني اسمه مانيج ، ولما أخذ العرب الذين بها اولادهم وهربوا ، أخذ المسيحيون اولادهم وخرجوا معهم لأنهم كانوا معتادين على العيش معهم ، فهم يتكلمون لغتهم العربية ويكتبون بخطهم العربي ، وكان ينفرون من اليونانيين بل يخافون منهم لأجل هرطقتهم وشهم ، وبعد ان خرج العرب والمسيحيون فرغت المدينة وبقيت خالية بيد اليونانيين تقريبا بعد ان رجعت اليها شذمة قليلة من الشعب والباقي تبددوا الى حد تكريت ، وبعد فترة يسيرة قام فيها مدير من مملكة اليونانيين كان شريفا ومؤمنا واسمه ابو كنعب ، وقد ارسل هذا الى مار دونسيوس البطريرك ورسوم مطرانا للرها هو اثناسيوس ، وهو يشوع راعي دير مارابحاي دير السلالم .

وبعد هذا ملك فيها فيلارديوس ، وقد ازدهرت الرها في أيام هذا

المدير لانه كان يصفي نوما الى المطران ويستترشد بأرائه ، وقد جمع سكانها من كل الأمكنة التي تشنتوا بها ، كذلك مضى المطران الى ارمينية وحتى منبع نهر الفرات وجلب خشبا وبني بيعة مريم والدة الاله وبيعة مارثاودروس الكريمتين .

وبعد هذا ملك فيها فيلارنوس ، ولما قوي الأتراك في تلك الايام مضى فيلارنوس الى سلطان خراسان واعلن اسلامه ، ولما سمع بنو هرون ان فيلارنوس قد اسلم عند سلطان خراسان قتلوا واليه وكان اسمه فارجيكاس ، وبعد هذا ملك بها بوزان ، ولما قتل تتش بوزان ضبط تانروس بن هاتيم الحكم فيها سنتين في ايام أثناسيوس المطران بن يسي .

ولما خرج الأفرنج ونظر ابن هاتيم انه لن يستطيع ان يحفظها سلمها للأفرنج ، فملكها الأفرنج وكان اول من ملك بها الكونت بلديون الذي قتل ابن هاتيم ، ولما مات أخوه غودفري ، عندها صار الكونت هذا ملك القدس وصار بلديون بالرها ، ولما مات ملك القدس استلم مكانه بلديون فأخذ الرها جوسلين ، وبعد موته ملك فيها ابنه جوسلين الثاني وفي ايام هذا اخذها زنكي ، وفي ايام زنكي خربت كلياً سنة ١٤٥٨ يونانية

تملك توماس الأرمني

لما مات لاون الأرمني في القسطنطينية كما أوضحنا من قبل صار آنذاك قسم من بلاد قليقية مع اليونانيين ، وقسم مع الترك ، ولما مات الملك يوحنا ، هرب احد اولاده واسمه توماس مشيا على الاقدام لايحمل شيئا معه ، ومضى سرا الى مار اثناسيوس مطران البلاد ، لأنه كان يؤمن ببركة هذا الشيخ الجليل منذ أيام أبيه ، فطلب صلواته ليرد له الله بلاد أبيه فمنحه بركته والدموع تتساقط من عينيه ، وأعطاه فرسا ، ولما اقتنى مركوبا تبعه اثنا عشر رجلا أرمنيا ، وتوجه الى القلعة المسماة قلعة عامودا ، ولما احس سكانها ان ابن سيدهم القديم قد اتى اعتقلوا اليونانيين الذي بداخلها ، وسلموا القلعة لتوماس هذا فذاع صيته وبدأ الجميع يحسبون له حسابا ، من اليونانيين ومن الأتراك معا ، وقد ملك بلادا كثيرة في مدة وجيزة ، وتبعه شعب عظيم من الأرمن والافرنج .

ثم ذهب توماس هذا الى رعبان عند سيمون الافرنجي حاكمها ليتزوج ابنته ، فصدف ان هاجمه الأتراك لينهبوا البلاد ، فهاجمهم توماس وقتل نحو من ثلاثة آلاف وخلص المسيحيين وأنقذ كل البلاد ، فعظم في ذلك وتشرف ، ولما رجع الى قليقية ترك اليونانيين والأتراك المدن والقلاع وهربوا من امامه ، وملك على عين زرية وباقي مدن قليقية .

وفي السنة التي تملك فيها توماس ١٤٥٩ يونانية غزا نور الدين ابن زنكي بلاد انطاكية ، وكان جوسلين حاقدا على ريموند حاكم انطاكية لأنه لم يساعد الرها ، وكان فرحا بهلاكه وهلاك بلاده ولما عرف بذلك نور الدين حاكم حلب فرح كثيرا ، وأرسل رسلا وعقد صلحا وعهودا مع جوسلين ، والتقوا في البقعة التي بين حلب

وأعزاز واتفقا وثبتا العهد واختلط الأفرنج والأتراك وأكلوا وشربوا سوية بالفرح ، وقد صار هذا لسقوطهم ، فبهذه السنة حنق ملك جزيرة صقلية على ملك اليونانيين لكونه خدع الأفرنج وأهلكهم بالحيلة فانقم لشعبه ، فهاجم مدينة تابس وقاتل اليونانيين وهدمها واحتل أدنة وفيلبة ، وخرج منويل ملك اليونانيين لينتقم من الرومان ، ولما نزل على إحدى القلاع أرسل ملك صقلية عساكر كثيرة من السفن في البحر ، فنهبوا وارتكبوا كثيرا من الفظائع باليونانيين ، ووصلوا حتى القسطنطينية وهاجموا القصر المبني على شاطئ البحر ، وأخذوا يرشقونه بسهامهم ، ولما سمع ملك اليونانيين ، ترك القلعة ورجع فالتقى اليونانيون والأفرنج وجها لوجه ، وصارت حرب عظيمة في البحر ، وقتل أناس كثير من الجانبين ، وأخيرا رجع الأفرنج إلى بلادهم ، ورجع اليونانيون وملكهم إلى القسطنطينية .

كمل هذا الخبر وأرجو من كل من يقرأ في الكتاب أن يدعولي في صلاته لأنني خاطيء وذليل وضعيف ، وله أجر من صاحب الجزاء .

في سنة ١٤٥٩ يونانية قل المطر في كل مكان وشحت مياه الينابيع ، ووقع الناس في شدة عظيمة وهجرت أماكن كثيرة ، وفرغت من السكان الأماكن التي نضبت فيها الأنهار والعيون وفي السنة التي تلتها لم ينزل المطر حتى نصف كانون الأول ، ومر شتاء ان كالصيف ، وقد وقع الناس في شدة عظيمة من العطش ، حينئذ أشفق الرب ، وأرسل المطر فشبع الأرض وارتوت ، وصار شتاء طيب ورطب وخصب كالربيع .

في ٢٥ كانون الثاني تراءى كوكب مذنب في نصف السماء قبل المغرب ، وبقي مدة شهر ، وفي ١٦ شباط تراءى آخر غيره من الشرق وقت السحر ، وبقي خمسة أيام وصار قلة في المطر حتى جفت أكثر الينابيع .

وفي تلك السنة ولد بالقسطنطينية ولد من جارية ، له في مقعده عيون وفم وأسنان وذنب .

وفي هذه السنة نبعت بالقسطنطينية بدعة ريئة جدا كانوا يسمونها فوجو ليموس ، وقد تبعها جملة رهبان وبعض الشعب حتى بطريركهم ، فنفي وصار غيره مكانه ، وكانوا يعتقدون أن المسيح إنسان ساذج توكل للعناية على هذا العالم ، ويقولون إن الشياطين يبنون لهم بيوتا ويعدهم بمال وسلطان أيضا ، وكانوا ينفرون من السجود للصليب .

وقد انطبق على الخلقيدونين ما قاله الرسول الالهي : لما ظنوا أنفسهم أنهم حكماء ، عندها جهلوا لأنهم مالوا عن الحق وسقطوا في وحل نسطور ، ومزجوا الحق بالاثم ليضللوا البسطاء ، فسمع الله بهم وسقطوا في أباطيلهم ، وصارت مدينة قسطنطين البار مقرا للشياطين ، واتسعت هذه الضلالة حتى أسقطتهم في وسط الجفرة ، وهكذا تمت عليهم كلمة صفنيا النبي القائل : من القدم إلى الرأس ليس فيهم موضعا صحيحا .

بعد مصرع الرها المروع ، هرب مطرانها باسيليوس إلى سميساط فأتى بعض من أهل الرها إلى جوسلين ، واتهموا المطران الشيخ قائلين: لقد طاب له حكم الترك ، وحالما سيشعر بالضيق عندك فإنه سيمضي راجعا اليهم ، فأجاب جوسلين: من الخير أن يموت لثلاثين بقية على قيد الحياة الى الترك ثانية ، عند ذلك أمسكه جوسلين وحبسه في قلعة الروم مع الأسرى العرب وبقي هناك ثلاث سنوات ، وقد كتب فيها ميامره مع أمور أخرى ، كذلك كتب ضد الذين قالوا : من الآن انتهت البركة التي وهبها المسيح سيدنا للملك الأبرج ، وبعد أن خرج من الحبس كان يتجول ويجمع الصدقات ليفتدي أهله وقبيله في سجون الأتراك ووصل إلى أنطاكية وإلى القدس ، وقد استقبله بترحاب الملك والبطريرك الإفرنجي ، ولما رجع ووصل الموصل وتواجه مع زين الدين الحاكم خليفة زنكي والذي كان يدبر الأمور مع ابن زنكي ، أيضا أكرمه ومنحه عطاء يكفيه لمعيشته ، وبعد أن بقي هناك مدة توجه نحو ماراثنا سيوس البطريرك الذي كان مقره في ذلك الزمان في آمد التي بين النهريين ،

وطلب منه أن يعطيه رئاسة مرعش وسيبارك (سويرك) والشمال
وكانت منذ زمن تتبع لمطران الرها .

وفي سنة ١٤٥٨ يونانية نزل تمرتاش حاكم ماردين على دارا
وأخذها ، حينئذ صعد غازي بن زنكي ونهب كل ما بين النهرين ،
وعندما تواجه الجيشان وشعر الجميع ان لابد من المواجهة اجتمع
قضاةهم وتوسطوا بينهم ، فأرجع حاكم الموصل المنهوبات وأخذ
المدينة .

وبعد ذلك قوي الاتراك كثيرا ، واخذوا يدخلون بلاد الافرنج من
كل جانب ودخل قلج ارسلان بن السلطان مسعود الى بلاد جيحان
ونهب مرعش ، ثم عبر الاتراك الى بلاد كيسوم فخرج الى لقائهم
رنجر الذي حكم كيسوم بعد مقتل أخيه بلدوين .

وفي هذا الزمان خرج منويل ملك اليونانيين ليقابل السلطان
مسعود ، فجمع السلطان أمراء الاتراك والعساكر من بغداد ومن
خراسان ، وفي باقي البلاد ولما تدانى العسكران للحرب علا صوت
الفرنج فجأة ففرزع الجانبان وخافا فاصطلحا ، ورجع ملك
اليونانيين ليحصن بلاده ورجع السلطان الى أرضه .

« نهب جوسلين دير سيدنا مار برصوم في
سنة ١٤٥٩ يونانية »

دخل جوسلين الدير في يوم السبت ١٨ حزيران
سنة ١٤٥٩ يونانية ، وأخرج منه الرهبان يوم الاثنين في العشرين
من الشهر نفسه ، ووصلوا يوم الثلاثاء إلى حصن منصور وذاع
الخبر ، وغضب الشعب وهاج ، ونصحه بعض المقربين أن لا يترك
الدير بدون رهبان لأن الشعب يهجم بالدخول إليه ، فطلب أن يعطيه
الرهبان عشرة آلاف دينار ليعيد لهم الدير ، ومضى أناس من جماعة
جوسلين وأحضروا الصندوق الموضوع به يمين القديس وأثاث
ومقتنيات الأديرة الأربع ، والذين كانوا مخزونين في الدير نفسه ،
وهم دير مار أبهاي ودير سرجيسيه ، ودير مانيق ، ودير البارد ،
وبقي في الدير بعض الرهبان والعمال ، وصار راعيا للدير شيخ
راهب اسمه مودعل ، ووضع جوسلين بالحصن العالي عشرين
جنديا أرمنيا ، ومعهم آخرين ، لكن أولئك استولوا على كل
ما وجدوه بالدير من حنطة وخبز وزيت وعسل وثياب وأواني .

ولما أخذ جوسلين بدون رحمة أو شفقة القديس والرهبان إلى تل
باشر كان ضمنهم هناك أناس من الأفرنج ، ومن السريان ومن
الأرمن وقد دفعوا زهبا لخلاصهم ، وكان جوسلين قد أمسك أيضا
مع الرهبان والقديس ثلاثة مشايخ هم : داوود ويعقوب وسرجس .

لكن في شهر آب رجع الباقي إلى الدير ، وغادره الأرمن الذين
أتى بهم جوسلين وكان رئيس الذين رجعوا عازار الشيخ ، ومعهم
قسطنطين وأحضروا معهم مارايوانيس أسقف كيسوم ، ولما دخلوا
الهيكل وجدوا أن المائدة المقدسة مقلوبة والدير كله ممدنس ، فأجهش
الجميع بالبكاء بأصوات شجية كل ذلك اليوم ، وبعد هذا طلب
الجنود من الرهبان بأن يخلفوا لهم إذا جاء جوسلين مرة أخرى أو

ابنه أن لا يغلقوا الباب في وجهه ، وكان عدد الجنود مائة وخمسين ، فرفض الرهبان أن يحلفوا لهم ، لذلك بقي الأفرنج والأرمن سبعين يوماً في الدير وأوقفوا الصلوات والخدمة وأطفأوا المصابيح ، ثم أرسلوا خيراً إلى البطريرك في آمد ، فأصدر أمراً إلى مطران كيسوم بأن يقوم هو بالصلاة في هذه الأماكن المقدسة ، ثم أكمل التطهير والتجديد حسب الناموس وأقاموا راعياً للدير اسمه عازر بأمر البطريرك ، ووضع صائغ ومدير وأناس لباقي الخدمات كالعادة وبحسب ناموس الدير المتبع منذ الأجيال الأولى ، وأعطى كل واحد من الرهبان والعمال ما عنده من الذهب إلى جوسلين وذلك لافتداء هذا المكان المقدس .

وهكذا رجع دير سيدنا مار برصوم بقوة الله الذي سمح بأن يكون هذا تأديباً لنا ، وأمر بهلاك الطاغية جوسلين الثاني بن جوسلين ، الكافر العاتي الذي احتقر الكنيسة المقدسة والمذبح والأواني القدسية ، فضرب الله جوسلين في ذلك الوقت وأهلكه عقاباً عادلاً له كما أوضحنا القول .

إن ما كتبناه كاف لأن يوضح كيف ومتى سبي دير القديس مار برصوم ، ويجب أيضاً أن نوضح ما حدث في ملطية .

كان بذلك الزمان يملك في ملطية بولت التركي ، وكان يضع خراجاً على الدير يعطيه لملطية ، وقد وضع هذا الخراج بالقوة الأمير غازي بولت ، لكن لما سمع بولت أن جوسلين دخل الدير ظناً للوهلة الأولى أن الرهبان سلموا القلعة لضيقهم من الخراج الذي زاد عليهم ، وكان يعرف أنهم كانوا يتشكون ويتضجرون من ارتفاعه ، لذلك صب الأمير غضبه على المسيحيين الذين في ملطية قائلاً لهم : إن أهل إيمانكم سلموا القلعة إلى الفرنجة ، وأخذ ينتقم منهم ، وكان أهل ملطية حزاني على سبي الدير من جوسلين ، فأتى الضيق والاضطهاد ليزيد عليهم فوق الحزن شدة ، فأبطلوا الصلوات وأوقفوا قرع النواقيس في البيع لمدة ثلاثة أيام إلى أن تحقق الأمير أن الرهبان لم يسلموا القلعة إلى جوسلين ، لكنه دخلها بالحيلة

والخداع ، فأوقف اضطهاد أهل ملطية ، واستعد جمع من العسكر ليذهبوا ويخرجوا الافرنج في القلعة ، وفي تلك الفترة تدخل التسبير الالهي فتطوع إثنا عشر راهبا وخمسين متعبدا كانوا قد أتوا من بلاد قلوذية إلى ملطية ، ومعهم ثيران وأواني ومتاع ومقتنيات يستتروا بها ، وقد أطفأ موقف الرهبان هذا غضب الأمير ، وكان معهم شيخ تقي يدعى ابراهيم ويكنى سوريديم استطاع أن يدخل إلى عند الأمير ويقنعه قائلا : ربما لن نستطيع أن تأخذ القلعة بالحرب ، لكن أعطنا الفرصة ونحن نحتال ونأخذ الدير ، فحسن كلامه عند الأمير وأخذ يفرق الخيرات والعطايا على أولئك الرهبان الذين أتوا ليستقروا عنده ، وأخيرا ساعد الدير وكل من فيه ، وأعقاهم من خراج تلك السنة ، ثم طلب منهم عهدا فأقسموا له ، وبعد ذلك أرسلوا طلبا إلى البطريرك المقيم في آمد ليغفر لهم بالعهد الأول الذي أقسموه بالقوة والغضب لجوسلين ، وإثر هذا أرسل جوسلين يقول للأمير بولت : لقد أخذت أنيرة زوبر وهي لي وخربتها ، وأنا أخذت دير مار برصوم وهي قلعة تتميز عن كثير من القلاع عالية كعلو الذسر عن بقية الطيور وها أنا أردما الآن لك وبهذا يكون قد بطل القسم الذي أعطاه للرهبان ، لأنه طلب الصلح من الأمير .

فرد عليه الأمير بولت بما يلي :

بما أنك طلبت الصلح فنحن نرضى به ، لكن قل لي : كيف ستحقق هذا الصلح وقد تبين لنا أنه ليس لك أمانة ، لأن المسلمين يحنفون بكتابهم والمسيحيون يحنفون بالصليب والانجيل ، فأما أنت فمزقت الانجيل وكسرت الصليب وبالتالي لم يعد لك أمانة كالمسيحيين ، فأوضح لي إيمانك هل أنت يهودي أم حنفي لكي نثبت معك القسم بحسب إيمانك ، وبهذا الكلام أفحم التركي ذلك المسيحي الكذاب وأخزاه ، وبعد ذلك سقط جوسلين ، وعاد الرهبان والقديس للدير المقدس وصارت استقامة الجانبين بالعبادة الالهية .

لقد صنع جوسلين مثل سليمان بن داوود ، ترك إله آبائه المسيحيين (كذا) ، وسلم ذاته لخدمة الشياطين ، حين اجترأ على

القوة القادرة على كل شيء والمحلولة بالقديس ، وحين دفعه عقله المنزول ولم يحسب حسابا أن العظماء الذين معه هم مسيحيون ، وسوف يغربون الرهبان بغشه ، فجمع عسكره وأظهر وكأنه يريد أن يتوجه إلى بلاد الترك لينهب ، فأتى حرتان ، وبعد ثلاثة أيام صعد هناك الجبل الأبيض وتوجه إلى العين المسماة إيزا في رأسه العالي في بلاد قلوذيه ، وبقي هناك إلى أن سمع الشعب به فهربوا خوفا منه ، فأخذ يتهم الرهبان بأنهم هم الذين خوفوا الشعب ثم قال لمن معه : إذا ضللنا طريقنا ندخل إلى الأديرة القريبة نصلي فيها ثم نرجع .

في صباح السبت ٨ حزيران سنة ١٤٥٩ دخل جوسلين الدير فجأة ، ففرح الرهبان لاعتقادهم أنه أتى للصلاة ، لكن الأغبياء لم يعرفوا أنهم سقطوا في فخ محكم لأن جوسلين ظن أنه سيجد ذهباً كثيراً ، والرهبان ظنوا أنه أتى يحمل ذهباً ، فاستقبلوه يحملون الصليب والأناجيل ، وخرجوا لملاقاته عند الباب الرئيس ، ولما رأى الصليب نزل عن فرسه بكل غش وخداع وأظهر خشوعاً ووداعه ، حتى دخل إلى داخل القلعة حينئذ أرسل بعض حراسه وجنوده ليتفحصوا القلعة ، فشك بعض أهل الدير بما يجري ، لكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً ، ثم صعد خمسة من رجال جوسلين فوجئوا راهباً شيخاً واثنين من المتنسكين فأمسكهم ، ثم جمعوا كافة الرهبان وحبسهم داخل الهيكل ، واستدعى جوسلين الشيوخ وأخذ يعنفهم ويلومهم قائلاً : لقد أخبرتم عنا بلاد ملطية ، فهرب الأتراك ، فاندھشوا وقالوا : ليس لدينا علما بذلك فأضاف إن كان حقا لا تعلمون ولم تساعدوا الترك ، فأعطوني كل ما يخص الترك في هذا الدير فقد سمعت أن مالا كثيراً من بلاد الترك ، ومن الترك مخبأ هنا ، ويجب أن يعطى هذا المال للمسيحيين ليتقوا به وينتقموا من الترك الذين نهبوا أديرة زوبر ، فأجابوه قائلين : إن فعلنا ماتريد كيف يمكننا أن نسكن في هذا المكان ؟ حينئذ صرخ بوحشية وأخرجهم من الهيكل وحبسهم في تلك اليوم في بيت شبها المدعو قاعدة ، وأرسل قساوسة الأفرنج فدخلوا إلى الهيكل وأخرجوا كل

ما وجدوا به من صواني فضية وقوارير نحاسية وصلبان ومباخر وقناديل وإيقونات معدنية وأناجيل وكتب ، وبعد هذا توزع الجنود وأخذوا يفتشون بيوت الكهنة والرهبان وجمعوا كل ما وجدوه من ذهب وفضة ونحاس وحديد وثياب وأسترة ، حتى أنهم أخذوا من الهيكل أثاثه ، وكان معه أناس من الداوية الأفرنج ، فلما رأوا ذلك قالوا له : إننا أتينا معك لنحارب الترك ونساعد المسيحيين لالغلب البيوع والأديرة ، فتركوه ومضوا ولم يأكلوا خبزاً أو يشربوا شيئاً ، أما الشقي وأتباعه فقد مكثوا كل يوم الإسبت ينهبون ، وحملوا كل ما يستطيعون حمله بعد أن فتشوا كل شيء تفتيشاً دقيقاً ، وفي المساء ، وكان اليوم التالي هو الأحد ، أخرجوا الرهبان وكافة الشعب وأنزلوهم وقضوا الليل عند الكرم المدعو الفيل عند شاطئ النهر ، ووضعوا في الدير جملة من الحراس الأفرنج والأرمن ، لكن الشيطان عاد فعلمه أن يرجع للدير المظلوم ، فعاد وعاد معه الرهبان ، وعادوا يفتشون عليهم نسيوا شيئاً لم يأخذوه ، ثم صعدوا إلى المعصرة ، ودخلوا إلى أكواخ النساك ونهبوا كل شيء وجدوه ، ثم حملوا كل شيء على الجمال والبغال وخاصة أثاث الهيكل ، وحلل النحاس ، ومتاع من كل جنس وكان بينهم صليب ذهبي فكسره جوسلين الطاغى داخل الدير ووزعه على الذين كانوا معه ، ولم يكتف بذلك بل أخذ بغال الدير ، وكانوا إثني عشر بغلاً ، وأخذ معه الرهبان الذين حضروا وكانوا نحو خمسين ، ويوم الاثنين وصلوا إلى جوتي .

فصل حول دير مار برصوم

صحيح ان القديس مار برصوم سمح بسبب خطايانا ان ينهب ديريه ، لكنه لم يهملنا ولم يسمح ان نهلك كليا ، كذلك لم يسمح للطاغي ان يمر بون برس ، حتى اذا ما اراد ان يرجع للتوبة يستطيع ان يخلص ، فقد رأى ثلاثة من جنوده حلما في ليلة واحدة ، حسبما هو مكتوب عن رواية شاهدين أو ثلاثة ، فقد رووا ان ثلاثتهم شاهدوا في الحلم ان دير القديس يبرق ، وأن القديس واقف على رأسه بمنجل لا يوصف ، وقد دعاهم وقال لهم : امضوا وقولوا للككم ان غضبت على رهباني لانهم اخطأوا واغضبوا مولاي فقد نجيتهم ، انني نجيتهم من يديه حتى يندمو ويتوبوا ، وقد امرت الان ان تتركهم ليرجعوا إلى ديرهم .

واجتمع هذا الجندي مع زملائه الاثنتين الاخرين اللذان شاهدا الرؤيا نفسها وقصوا على بعضهم بعضا رؤيتهم ، ثم تشجعوا ودخلوا الى جوسلين الشقي وقصوا عليه الحلم ، فوعدهم فرعون الثاني بعدما سمع هذا الحلم ان يعيد الرهبان ، لكنه مالبت ان غير رايه وبذل ان يعيدهم اخذ يعذبهم ليأخذ منهم بقية الذهب ، فقد كان قد استولى من قبل على خمسة الاف ، لكن الله مالبت ان دعاه مرة اخرى الى التوبة ، وهذه المرة بوساطة أهل بيته ، فقد رأوا الصندوق الذي يضم يمين القديس برصوم يشع ويضيء كالشمس ويخرج من قلبه سيف نار ، ثم انبعث منه صوت يقول باجوسلين إن لم تتركني وتترك رهباني فإنني سوف أهلك أنت وكل بلادك بهذا السيف ، فلما أخبره أهل بيته بهذه القصة ترك الرهبان والشيوخ ، وعاد داوود ويعقوب إلى الدير في ١٥ ايلول سنة ١٤٦٠ لكنه أخذ الصندوق الذي يحوي يمين القديس سينا مار برصوم ، وحجزه في بيعتهم في تل باشر حتى يحضر له الرهبان الالاف الخمسة الاخرى كما طلب منهم ، وحينئذ سقط عليه سيف الغضب من عساكر

الترك ، أن نلك عند الله فقط سهل ، ويقوته غير المحدودة القادرة
على الكل يصنع من عظام وأوصال قديسيه وأحبائه متى يشاء وكما
يليق قوة لأجل خلاص أنفسنا

مقتل ريموند أمير انطاكية ورنجر أخو بلنوين حاكم كيسوم

في كانون الثاني من سنة ١٤٦٠ يدخل نور الدين حاكم حلب إلى بلاد انطاكية ونهب كل البلاد ونزل على الشجر ، لكن ريموند حاكم انطاكية لم يكن موجودا فيها ، ولما سمع أني مسيرعا ولم يدخل لانطاكية بل جاز عليها ، وكان معه علي بن وقتان ، البسوي الذي انشق عن نور الدين ، وكان هذا مع عسكره قد ساعد الافرنج كثيرا حتى كسروا الاتراك وجعلوهم يهربون بحالة سيئة .

دخل في هذا الزمان قرا أرسلان حاكم قلعة زياد إلى بلاد آمد بوساطة الخيلة ، إذ اتفق سرا مع أناس من داخل القلعة على أن يسلموها له لكنه أخفق في ذلك ، وعندها أخذ يسبي أهل البلاد وقد ساقهم مسيرة يوم كامل ، لكنه عندما رأى حالهم التعيسة على الطرقات الملوثة تلجا وجليدا حزن عليهم ، وتساءل ماذا خطأ هؤلاء فاعتقهم ورددهم إلى ديارهم .

أما جوسلين فقد جمع عسكرا ودخل لينهب في بلاد الرها وجران ، ثم عاد الاتراك وأقاموا كمينا وقتلوا عددا كبيرا من جنوده

وعندما كان نور الدين حاكم حلب يتقد عيظنا ويختال ويجمع عسكرا ، كان الافرنج المتكبرون والمتعسرون لا يزالون بما حولهم ، وربما دفعهم الله إلى هذا الموقف جزاء لأعمالهم الشريرة ، فاستهتروا بأعدائهم الاتراك الذين أخذوا يتجمعون حولهم ، كما يتجمع الذباب حول الجثة ، فتركوا قرانهم وكرومهم بغير سياج ، وكان شأنهم في ذلك كالذي يترك بيته بدون أبواب ، ومضوا إلى بلاد العرب كما يمضي الغزال إلى النخ ، والليل إلى السهم الذي سوف

ينفرس في كبده ، وكان معهم علي بن وفاء العربي ، ولما رأى انهم دخلوا الى اواسط اراضي اعدائهم قال البديوي : إلى أين أنت ماض ايها الملك واعدائك يحيطون بك من كل جانب ، ابق في مكانك وتجمع أنت وعسكرك حتى يتفرقوا ويذهبون ، فإن أرادوا أن يدخلوا بلادك فحينئذ تلاقىهم ، اما هو فاحتقر كلامه ورفض نصيحته ومشورته ، ماكاد يهبط الليل حتى وجد نفسه في وسط الاتراك فأطبق الترك على الافرنج الاشقياء من كل جانب ، حينئذ قال له علي بن وفاء ثانية : إنك لم تسمع مني ، وهاهو نحن الان في الفخ ، لكن اسمع مني الآن وتعال نهرب ، فعسانا نستطيع انقاذ ما أمكن ، لأن الاتراك يحيطون بنا بعسكر عظيم ، واذا أشرق الصباح ونحن مازلنا هنا فسوف يهلكونا ، وعندما انبلج الصبح وقبل أن تشرق الشمس هجم الاتراك هجوما عنيفا ، وكانهم جبل من الماء ، وأخذوا ينبحون الكبار والصغار وكانوا يتساقطون كالاشجار عندما تقطع من أسفلها ، وقتل ريموند حاكم انطاكية الاسد الشديد ، وسقط رنجر حاكم كيسوم شبل الاسد ، ولم ينج واحد منهم لينقل اخبار ماجرى ، وتحولت هذه العساكر الى اكوام من القتلى ، وفي ذلك اليوم نزلت ضربة قاصمة بالمسيحيين ، إذ لم يشعر اهل انطاكية الا والاتراك قد غنموا كل البلاد وسبوا اهلها ، وحل نور الدين على المدينة وارسل رأس ريموند إلى بغداد ، وهنا وقع انشقاق بين اهل انطاكية ، فقسم منهم كان يرضى بالاتراك ويتحمس لوجودهم ، وقسم هرع الى ملك القدس مستنجدا ، ولما أتى ملك القدس أبقي على الشرائع التي كانت سائدة واقام بطريكتهم رئيسا .

اما جوسلين فانه لما سمع بمقتل حاكم كيسوم أتى وملك عليها وعلى القلاع التي هناك فلما من هذا الشقي أن كيسوم يجب أن تبقى لزوجته المقتول والتي هي ابنته ، وبهذا الزمان تحارب جوسلين بعقله المرنول مع قلع ارسلان بن مسعود حاكم ابلستين وبلادها ، وحل على مرعش ، وبعد أن نهب البلاد وقتل اهلها وعدوا قلع ارسلان بتلبية مايريده ثمنا لنجاتهم ، فملك السلطان على مرعش ، أما

الافرنج الذين كانوا بها والفرسان والاساقفة والقساوسة فقد تركهم يمضون الى أنطاكية حسب ما نصت الاتفاقية ، لكن الترك ارسلوا من يقتلهم في الطريق وفي نهبه لمرعش هذه المرة تبدا اثاث بيعتها : جرة الميرون ، والصواني والكاسات والمباخر الفضية ، واغطية المذبح والاستار ، اخذها العصاه على اسقفهم من ايادي القساوسة.

وفي هذه السنة لما رأى الأمير قرا أرسلان حاكم قلعة زياد أن الاتراك صاروا يدخلون من كل ناحية وتملكوا بلاد الافرنج الذين تخلى عنهم الرب لأنهم هجروه ارسل عساكره وأخذ الجبولة على شاطئ الفرات فخاف أهل بلاد جرجر وهربوا ليحتموا بجبل ماربرصوما وتحلقوا حول الدير رجالا ونساء مع أولادهم ومقتنياتهم ، وبدا عند ذلك عدد كبير من الرهبان المعتزلين والمتفرغين لعبادة الله يتضرجون ويدمدمون ، ولم يستطيعوا أن يطردوا هؤلاء اللاجئين لانه كان بينهم رهبان اقرباء لهؤلاء.

ولما دخل الترك لبلاد جرجر ونظروا ان القرى فارغة وسمعوا ان الشعب في جبل مار برصوم ، توجهوا الى ذلك المكان ، يوم الاحد في ١٥ اب وكمنوا في ثلاثة اماكن ، وفي الصباح هجموا وسرقوا الدواب والثيران وقتلوا ثلاثة من المتعبدين ، وقتل اثنان من الترك ، وحينئذ ارسل الاتراك رسلا يقولون اننا نكرم هذا القديس ونقدم له النذور ، وإننا لانضممرا لهذا الدير ، وإنما اتينا وراء الذين توجهوا الى هنا من بلاد جرجر ، فان تعطونا اياهم نرد لكم ما اخذناه ، وإننا نعد بان لانرسل الشعب الذي ناخذه الى العبودية ، بل ناخذه الى قراه ، حينئذ انقسم اهل الدير الى فرقتين : منهم من قال يجب ان نسلم هذا الشعب ، ومنهم من كان يصرخ رافضاً تسليمه وكادت الحرب تقع فيما بينهم ، لولا حكمة احد المشايخ الذي اصلحهم بحكمته ، فقد اخذ مجموعة من الفريقين وخرج الى الاتراك وقال لهم : إن كنتم فعلا لاتريدون ان تسوقوا هذا الشعب الذي ستاخذونه للعبودية فلتأت معنا مجموعة من رؤسائكم ونمضي

سوية الى قلعة زياد ، وثبت هذا العهد عند الامير ، لكن الترك كانوا في الحقيقة يريدون ان ياخذوا هذا الشعب الى العبودية ، ولما اتضح ذلك في تردهم ، صرخ الجميع بقم واحد : كلنا شخص واحد ولن نسلم ولو متنا كلنا ، وعند ذلك احرق الترك كل ما هو موجود خارج الدير من بيوت ومعاصر واسيجة للكروم ، واخذوا الغنم والثيران ، ومضوا ، اما الرهبان فقد مضوا الى قلعة زياد ، وبوساطة المؤمنين الذين هناك استطاعوا ان يواجهوا الامير قرا ارسلان ، فاعاد كل شيء للناس حتى الثيران والغنم ، وصار فرح عظيم في كل مكان ، ومجدوا الله كثيرا .

كمل هذا ايضا على يد عبد عبيد الله ، وخادم الخدام ابراهيم الاخرس من قرية صيد - حمص سنة ٢٠٧٥ يونانية (١٧٦٤ م) في شهر حزيران المبارك .

سقوط جوسلين

في هذا الزمان نهبت العدالة السلطان مسعود فجمع عدا كبيرا من الجنود الاتراك واستعدوا لاقتحام بلاد الافرنج الاشقياء ، فدب الخوف والهلع في قلوب الافرنج الذين يدعون ان الواحد منهم يهزم الفا ، فصاروا يرتاعون من صورة على الورق ، لانه حلت عليهم لعنة الكتاب ، وصارت كل الشعوب تصرخ بغم واحد : بامر من الله تجمع الاتراك ليبيدوا هؤلاء المسيحيين الذين تجاسروا على مار برصوم ، ولما راي جوسلين ان الترك قد حاصروه واصبح سجينا في قل باشرا احس بذنبه واعترف ان هذه ضربة من الله ، فوعد بالتوبة والتجاسر الى سيدنا مار برصوم ، حينئذ تعطف عليه الرب الذي بعث السلطان ، فحلف جوسلين للسلطان بانه سيصير تحت طاعته ، وجاء هذا التدبير كله من عليين ، فارتحل السلطان الى بلاده ، وارسل جوسلين القديس مار برصوما (اي يمينه) الى الدير ، لكن ما لبث جوسلين هذا ان رجع الى اعمشاله الرديئة مثل الكلب الذي يرجع الى قيئه ، فلم تهمله العدالة ولم تحتمله ايضا ، لانه تافق ، فصارت نهايته على ايادي الترك الذين تبعهم ، لان جوسلين الذي كان قد تعاهد مع نور الدين حاكم حلب يدخل الى بلاده وقتل وسبى عدا كبيرا ، واخذ قلعتين

وفي سنة ١٤٦١ ارسل قرا ارسلان حاكم قلعة زياد واحدا من قادته واسمه الضياء فنزل الى بلاد جرجر ، وفي احدى الليالي هجم فجأة على القلعة التي يقرب الدير والمدعوه تجنكر واخذها بالقتال ، واخذ منها خمسمائة شخص كعبيد ، ووجد هناك اواني وملابس كان قد سرقها جوسلين من الدير الذي سباه ، ومن هنا كشف لكل منهم انه بامر الله صار الغضيب ، وكل موضع دخل به مسروقات من الدير جرفه طوفان الغضب ، ثم اجتاح اليونانيون والافرنج ليدعموا الذين في جرجر فاجتمع مع باسيل حاكم (حصن منصور) وكيسوم

ومع جوتاي وغيرهم نحو خمسمائة فارس وكثيرا من المشاة ومعهم الوف من احمال الحنطة يريدون الدخول لقلعة جرجر، ولما وصلوا لقرب القلعة اكتشفوا ان الترك لم يعلموا بقدمهم ، فتركوا احمالهم خارج القلعة ونزلوا ليهاجموا معسكر الترك ظنا منهم انهم سوف يهزمون الترك ، لكن الله كسرهم ونصر الترك عليهم ، وكان الترك يفوقونهم عددا فقتلوهم وبددوهم، واسر باسيل حاكم جرجر وكيريكور حاكم جوتاي ، وما هي الفرنجي حاكم كيسوم ، ولم ينج من الفرسان احد واستولى الترك على الحنطة ، وعندما انتصر الاتراك هذا الانتصار العظيم قام الامير قرا ارسلان بعمل يدل على عظمة نفسه ، وكرم اخلاقه ، فاعتق كل الاسرى وارسل كل واحد الى بيته ، واعطى حكام القلاع اماكن في بلاده ، فاخذ من باسيل جوتاي واعطاه سجمان .

وهكذا ملك الاتراك جرجر وجوتاي وحصن منصور، اما جوسلين فخرج الى انطاكية ومعه مائتي فارس ، كان يظن انهم يقاومون الوفا، وبينما كانوا سائرين عند اعزاز بالليل التقى بهم قليل من التركمان فهرب هؤلاء الفرنج من الصوت فقط ، لانه قد ابتعدت عنهم القوة ، اما جوسلين فقد هرب واحتفى بشجرة فالتقى به رجل تركماني ، لكنه لم يعرف انه جوسلين ، وقال له انه يريد بيعه للمسيحيين ، ولكن التقى بهم رجل يهودي في احدى قرى المسلمين ، فاخبرهم ان هذا جوسلين ، فاخذوه بفرح الى حلب فاشتراه الوالي من التركماني بالف دينار ورماه بالسجن وهناك اكمل حياته بالعذاب .

وعندما دخل الى حلب مقيدا صار فرح عظيم وسرور لكل المسلمين ، وبقي في السجن تسع سنين ، وكانوا دائما يرغبونه ويهدونه بكافة الوسائل ويقطعون عنه الطعام لكي يعلن اسلامه ، لكنه كان دائما يرفض ، فحكموا عليه بالعذاب وكان دائما يجاهر بإيمانه وكان يعترف قائلا : لاجل خطاياي انلني الله ، وارسل الى الدير والى باقي كنادس المسيحيين طالبا ان يصلوا لاجله ، ليقبل مع

التائبين ، ولما قرب موته وهو داخل البئر الذي كان مرميا فيه طلب ان يجلبوا له اسقف المدينة ، فجاء الاسقف وقبل اعترافه وشاركه الاسرار المقدسة ، ولما توفي اعطوه للمؤمنين فجنزوه وقبروه في البيعة ، واجتمع على دفنه اكثر اهل المدينة من المسلمين والمسيحيين وكانوا يتعجبون مما حدث له .

تم هذا الخير ايضا .

كيف رجعت يمين سيدنا مار برصوم الى الدير

بعد ان ترك جوسلين الرهبان يعودون الى الدير ، ولم يرسل يمين مار برصوم زاد عليه غضب العدالة ، فارسل الرب من الشمال شعب ياجوج (الاتراك) واحاطوا بتل باشر ، حينئذ صرخ الافرنج والسريان والارمن بصوت واحد ، فخاف جوسلين الاثيم ، وامر فاخرجوا القديس ، واخذوه للجبل وكانت رؤوس كل الناس مكشوفة وهم يبكون ، ثم احتفوا به امام معسكر الاعداء ، ومضى الرهبان والمشايخ واتوا بالقديس مع تبجيل عظيم ، وكانت جموع الناس في كل مدينة وبلدة تسعى امامه وهم فرحين مسرورين ، ومجدين ومنشدين بالالحان والشمع المضاء ، وعطر البخور ، وانتهى طريقه كله بالتبجيل العظيم ، ثم وصل الى الدير في راس كانون الاخير يوم عيد المعلمين القديسين

استيلاء التترك على البلاد بعد سقوط جوسلين

في ٢٩ كانون الاول سنة ١٤٦١ يونانية وقع زلزال جعل الارض تهتز ، وفي ١٥ اذار كسف القمر من منتصف الليل وحتى الفجر ، وفي ٢٣ اب صبار مطر وسيول حارقة اخذت اماكن كثيرة ، وخصوصا في قلعة زياد حيث احتنق صبي في وسطهم وكذلك بغلان وحمار .

في هذا الزمان ارتسم للخلفيونيين بطيريك شيخ كان في صباه اسقفا لكن حب الرئاسة اغراه فاخفى ذلك وارتسم ثانية ، لكن بعد قليل انفضح وخزي ونفي هو والذين رسموه .

في سنة ١٤٦٢ يونانية صار شتاء قاس وتلج كثير ، وكان ابواب السماء انفتحت ونزل كل ما فيها من تلج حتى في الاماكن التي نزل فيها تلج قليل جدا صار نحو مراعين .

وفي اذار ايضا اتى تلج احمر ، وقد قال الطبيعويون : إن الرياح تحمل الغبار الاحمر الناشئ عن القرية الحمراء التي الغمام فيترأى كلون الدم ، وعندما يسقط التلج يختلط معه وكل هذا يصير لاجل تاديبنا .

وفي اذار صار بملطية تلج كثير لم يسمع وينظر مثله قط .

وفي ٢٢ اذار ايضا ظهرت اية ، وهي عبارة عن شعاع ناري في الناحية الشمالية وفي تلك السنة في قليسورا (٣٧) كان جبل تحت قرية فسقطت فجأة منه صخرة عظيمة ، وسحقت القرية مع سكانها وبهائمها .

وفي تلك السنة كثرت الامطار في كل الاماكن وافسدت الزروع وكل الغلال ، وخصوصا في شواطئ الانهار ، ومات الزرع كله ، ولم يبق شيء .

ولما سمع السلطان مسعود بسقوط جوسلين دخل يوم احد العنصرة وحل على كيسوم ، وكان بها افرنجيا اسمه رنجر ، وفي تل باشر اقاموا ابن جوسلين حاكما ، وكان بعد صبيبا وكان ايضا يدعى جوسلين ، ولما راى الذين في كيسوم كثرة عساكر السلطان مسعود ذهبوا قاربوا مطرانهم ايونيس الى القلعة ، واخذوا تعهدا من السلطان بشان الافرنج ، سمح بموجبه لهم ان يصلوا الى عينتاب وهكذا صار ، وتملك السلطان على كيسوم وعلى القلاع ، وعلى رعيتان وفرزمان ، وحل على تل باشر ، فقدم عليه نور الدين حاكم حلب ، فاعطاه السلطان ابنته التي كانت مخطوبة لابن اخي ملك اليونانيين ، واعطاها تل باشر ، ولما ترك السلطان تل باشر ورجع الى بلاده ، اتى ملك القدس واخرج من تل باشر امرأة جوسلين وابولاده وجميع الافرنج وحملهم معه الى القدس ، واقام في البلدة اثنا عشر من مملكة اليونانيين ، وقد استطاع هؤلاء ان يضبطوا تل باشر وعينتاب واعزاز ، ثم حل عليها الاتراك واضطهدوا سكانها كثيرا - اعتقد كان ذلك بسكل نوع من انواع العذاب - ولما لم يستطيعوا المقاومة سلموا كل هذه الاماكن ضلحا الى نور الدين ، وملك حاكم حلب هذا على تل باشر وعلى عينتاب واعزاز والبلاد التي بينها ، وبقي مع السلطان مرعش وقلاع فرزمان ورعبان وكيسوم ، وبقي مع قرا ارسلان ببولا وجرجر وجوتاي وحصن منصور

اما تفرشاش حاكم ماردين فقد اخذ البيرة وسميساط وقورس وكفرسوت ، وهكذا تملك الاتراك على هذه البلاد ، اما قلعة الروم ، فقد كان جوسلين قد وضع فيها ارميني اسمه ميخائيل ، لكن هذا لما سمع ان جوسلين قد سقط ارسل امرأة جوسلين وابنه ، لانهما كانا في تل باشر ، وذلك ليقولا لكريكور جاثليق الارمن الموجود بهوزب ، اي البخيرة ، ليأتي الى القلعة ويساعد ميخائيل ، لكن كريكور هذا لما اتى اجتال وامسك بميخائيل وعذبه ، واخذ مقتناه وطرده ، وجلس كريكور الجاثليق في قلعة الروم .

وفي سنة ١٤٦٢ يونانية دخل يعقوب ارسلان الى بلدة اليونانيين
المسماة فايرا وسباها وخرج .

وفي هذا الزمان هزم منويل ملك اليونانيين وانكسر من قبل
الافرنج وهرب واستطاع ان يصل الى القسطنطينية بصعوبة بالغة .

وفي تلك السنة خنق حاكم ايزنجي بلد الارمن من قبل ابنته (٣٨)
بوتر القوس ، وابت باخيه مخديباريجي فتزوجها وتملك .

وفي تلك السنة كان في دير اليونانيين المدعو سيريكيا في بلاد
بنطس ، صليب ذهبي كبير ، وكان فيه جزء من خشبة الصليب ،
وكان يفعل عجائب في تلك البلاد ، فوضع الحاكم في ضميره ان ياخذ
الصليب ، فتهيأ له واحد اثيم من اليونانيين ، ودبر حيلة عصى فيها
بالبلد ، فأتى الامير واخذ الصليب وكل شيء وجدته ، واخرج الرهبان
 ووضع فيه الاتراك ، واخيرا نكره بعض عظمائه ان اباءه كانوا
يكرمون هذا الدير ، فقام بعدة وساطات كثيرة وبعدهما اخذ من
الرهبان ذهبا ضمانا بانهم سوف يعطوه خراجا ، فسمح لهم ان
يرجعوا الى ديرهم ، وقيل لنا ان اليونانيين المجدفين لما سبى
جوسلين دير سيدنا مار برصوم ، كانوا يصهلون كالخيل او كما
صهل اليهود على مولانا عندما كانوا يستهزئون به ويجدفون عليه ،
ولما تشرف خبر مار برصوما عند كل الشعب ورجع منتصرا على
الذين سبوه فرح المؤمنون في كل مكان ، كما فرح الرسل بقيامة
سيدنا ، ولذلك يجب ان يقال لهم : ياهؤلاء كفوا السمنتكم عن
التجديف على القديسين واذعنوا للحق فلولا اننا اخطأنا وارادت
العدالة ان تضربنا لم يستطع جوسلين ان يسببه من دير مار
برصوما ، كذلك لم يستطع احد ان يسرق الصليب المكرم من دير
سيريكيا ، ويهزأ به .

وفاة دولت حاكم ملطية

في سنة ١٤٦٣ يونانية خرج الافرنج من رومية غاضبين على اليونانيين يريدون الانتقام منهم لاجل ما صنعوه بأخوتهم ، فنهبوا وخربوا ووصلوا حتى باب القسطنطينية واحرقوا ثم خربوا كثيرا في مملكة اليونانيين ورجعوا .

ووصلت فرق منهم إلى فلسطين لينتقموا من العرب أيضا لكنهم لم يتفوقوا لعدم وجود قائد لهم ، فقتلوا الذين وجدوه في قرى عسقلان من العرب بالسيف واحرقوا القرى ، ثم عبروا في البحر وخرجوا إلى ارض القبط ، وهناك في نواحي مصر الغربية احرقوا المدن والقرى والسكان بالنار ، ثم رجعوا إلى بلادهم .

وفي تلك السنة في ١٢ حزيران يوم الخميس مات دولت حاكم ملطية وملك ابنه ذو القرنين ، وفي ذلك اليوم خاف المسيحيون جدا وكثرت عليهم الشدائد ربما ليعودوا إلى تسويتهم ، اما اخو دولت يعقوب ارسلان فارسل يعزي ابن اخيه ووالدته طالبا ان يحتفظا بالمدينة ولا يعطوها للسلطان فاعتمدا عليه وارسلوا مواسيها إلى بلاده لتكون في امان .

لكن لما سمع السلطان انهم اتفقوا ان لا يعطوه المدينة ، اتى غاضبا على يعقوب اولا فلما رأى ذلك كثرة العساكر استسلم سريعا ووعد ان لا يساعد ابن اخيه فتوجه السلطان ضده ، لكن نزلت صاعقة في ٢٤ تموز احترقت الالوف من الاتراك ومن باقي الشعوب ، واحترقت القرى الجميلة وحولها البهية بالنار ، وكانت عساكر السلطان تخرّب البلاد من الخارج ، ومن الداخل كان الحكام والجنود يعذبون بغير شفقة سكانها بكل الانواع ، وكان المؤمنون محصورين بين هذين الوحشين ، ولما نظروا أن الكأس قد مزج

بالعلم ، والسيف قد استل تذكروا خطاياهم وبدوا بالادعية الدائمة فاتى خلاص الرب المتعطش للرحمة ، وهكذا بشفاعة والدة الاله في عيد انتقالها صار الصلح ، عندما خرجت ام الصبي وهي ابنة اخي السلطان وتوسلت اليه وركعت عند اقدامه ، فقال لها السلطان ان ياتي الصبي الي خاضعا اترك له المدينة ، عند ذلك خرج الصبي فقبله وثبت له الرئاسة .

وعندما كان السلطان نازلا على ملطية ، دخل الترك الذين معه ليسبوا بلاد قلوذية ، فوجدوا الرهبان والمتبرئين الذين في دير بيت حنيش فاخذوهم اسرى ، حينئذ مضى الرهبان الى السييلطان فاعادهم ، ولما رجعوا لياتوا الى جبل التفاح التقى بهم للصوص ، وتحاربوا معهم ، فقتل ثلاثة من اللصوص ، وقتل من المتبرئين طفل ومضى الباقي الى الدير .

ولما تثبت الرئاسة لذي القرنين بن دولت ، ملكت ام الصبي المدينة وكانت تعذب المسيحيين ، الاغنياء منهم والفقراء بغير رحمة بالخراج والضرائب المتنوعة ، ولم يستطع احد ان يتوسط عندها ، وكانت تقول ان المدينة لها ليس لان السلطان قد قبل تضربها فقط ، بل لانها حفظت المدينة بوساطة السحرة والعرافين ، ثم اجتمع اليها جملة من النساء العرافات الفاحشات تنبأن لها بطول العمر مثل ولينيوس في زمانه ، وانها سوف تملك ، ولذلك حاولت ان تقتل ابنها وتملك هي لتتبع هواها ، حينئذ اشفق الرب على صراخ المساكين ، وقام غضب العدالة على ايزابيل الثانية ، فظهر مكرها وانكشفت لزعماء المدينة ، فطردوها ، وخرجت ماشية هي والنساء الفاحشات اللواتي كن يخدرنها بالسحر والشعوذة ، وقد انطبقت عليهن اية النبي « امكثي على رقاك وانواع سحرك الذي عنيت به منذ صباك ، وقد اعبيت من كثرة مشوراتك » (اشعيا ٤٧ : ١٢ و ١٣) .

ولقد لبثت عدة ايام على باب المدينة ثم طردت اخيرا حين هناك حافية عارية وثبتت الرئاسة لابنها الذي سارع وقتل كل السحرة

والعرافين الذين جمعتهم امه ، ونهب بيوتهم ، ووضع قانونا يحرق بموجبيه كل من يتعاطى السحر ، فهرب اكثرهم .

ثم نادى بالصلح والسلام لاهل المدينة ، وابطل الضمانات والجوائز ، وصار فرج للمتضايقين ، وفرح لكل المسيحيين ، واكتشف ان بعض افراد حاشيته كانوا متفقين مع امه على هلاكه فطردهم زويدا رويدا ، ونهب بيوتهم حتى لم يعد احد منهم في مملكته .

انتهت هذه المقالة حول نحو من عشر سنين ، واربعة عشر فصلا ، وقام بها ملكين لليونانيين والافرنج وملكين للترك ، وخليفة واحد للعرب .

في تشرين الاول سنة ١٤٦٣ يونانية صار مطر كثير بالليل واتلف كل الغلال التي كانت على البيادر واختنق كثير من الناس والبهائم في ذلك السيل لاسيما في بلاد قلعة زياد وبلاد سميساط ، وقد جرف السيل كثيرا من التراب والصخور العظيمة حتى انه سحب احجار الطواحين وانزلها الى الوادي ، اي الغدير الذي بين قرية ابدهار وبين قرية خرشنة ، وامتلا نهر الفرات مما نزل به من الجبل وتوقف مجراه ثلاث ساعات ، وقد نظرت الموضوع بنفسي ورأيت الناس الذين سعوا ليأخذوا السمك من ذلك المكان الى ان امتلا بالماء ففتح مكانها في طرف جبل قلوذية وجري .

في هذا الزمان بنى قسيس ارمني اسمه يوسف من بلاد هنزيط في قرية برغيش بيعه ، وزينها وصنعها وجعلها مشعشعة من الخارج بالبياض ، وذات يوم خرج الامير قرا ارسلان ليتنزه كعادة الملوك ف رأى هذه البيعة تبرق ، فغضب وكان بعض الاتراك يبغضون ذلك القسيس ، فأغروا صدر الامير وقالوا له : كلما بنيت بيعة جديدة في بلدة يموت حاكم تلك البلدة ، عند ذلك امر فقلعوا هذه البيعة من اساسها بغير شفقة ، وحبسوا القسيس المظلوم في السجن ،

فاجتمع مسيحيو اهل قلعة زياد ليتشفعوا له ، لكنه كان قد امر بصلبه قبل ان يواجهوه ، وكان ذلك يوم عيد الصليب في ١٤ ايلول .

وبسبب هذا ومنذ ذلك الزمان صدر امر في كل بلاد ما بين النهرين بأن لاتبنى بيعة جديدة ، وان لاتتجدد بيعة عتيقة ، وصار حزن بين المسيحيين لهذا السبب ، لكن بعد موت الامير اجتمع المسيحيون وذهبوا الى ابنة وقدموا له نهباً كثيراً ، وأخذوا أمرا ليجددوا كل جزء وبيعة عتيقة محتاجة الى تجديد ، وقد اثلج صدر المسيحيين في كل مكان لهذا الامر .

كل من نظر وقرا وتأمل يرسل لي قليل من صلاته ، لعلي اجد فرحا وسرورا امام الديان العادل ، واجره على المسيح .

في سنة ١٤٦٣ يونانية (١١٥٢ م) صار في ايلول برد ومطر وثلج فافسد الكروم والزيتون والقطن والسمسم ، وبدوا وكأنهم احترقوا بالنار ، وصاروا كالشحار الاسود ، ولم تكن هذه النازلة فقط في اثور وبين النهرين وإنما في بلاد فارس وارمينية وفلسطين وملطية ، وصارت كل المسكونة كالقش الذي اكلته النار ، حيث تحولت الى رماد ، لقد كان منظرا مخيفا ، ويجب ان يلحق اصحاب هذا الجيل الفاسد درسا لانه اصبح لا يحس ولا يشعر بالخطايا والآثام التي يقترفها ، ولأجل ذلك صار هذا الغضب .

اخبار البيعة في هذا الزمان

في سنة ١٤٥٥ سرق اسقف مرعش في كورة ملطية بيعة جرجر فطرده البطريرك وحرمه . ورسم المرعيث اسقفا لجرجر .

وبعد مدة يسيرة تقدم الاسقف الذي كان قد خرم بطلب استرحام وشفاعة وكان اسمه باسيليوس فأعطاه البطريرك اديرة زوبر ، فبقي هناك زمانا قليلا ثم طرد من هناك لاجل علة السرقة نفسها ، ثم اشفق عليه البطريرك فأعطاه مرعش سيبارك ، وبعد ان بقي هناك ثلاث سنوات عاد فطرده من هناك لاجل علة السرقة ، وقد قال البطريرك وبعض الناس انه مظلوم اما الصحيح فهو عند الله .

اما باسيليوس الذي انتقل الى الرها لما هاجمها زنكي واخذها بالسيف ، فقد خلص هذا المطران من القتل عندما تقابل مع زنكي ، ولانه وجده حكيما وشجاعا ويتكلم اللغة العربية الفصحى كرمه وسلمه المدينة لكي يعيد بناءها وادارتها ، وترتيبها وقد خلص عددا كبيرا ، وبقي المطران بهذا المنصب الى ان قتل زنكي ، وقد نجح كثيرا بهذا المنصب .

وفي محنة الرها الاولى قتل العديد ، وكان منهم البار باسيليوس ابن عباس الذي كان اسقف ماردين ، ثم ترك الرعية وذهب ليسكن في جبل الرها حيث توفي هناك .

وصار في ماردين مطرانا ماريوحنا ، الذي هو ايضا ارتسم في ايام مار اثنا سيوس ابو الفرج سنة ١٤٧٦ ، وكان هذا شريفا ومستقيما ومتعلما يقرأ كثيرا في الكتب ، اخص بالمعرفة الطبيعية ، وكان يكشف الاسرار ويعرف الخفايا ، وكانت هذه المهنة مرغوبة ومطلوبة جدا ولاسيما عند الملوك ، وقد اشتهر عند الملوك ، وتكرم من كل الحكام ، ولاسيما حكام ما بين النهرين واثور ، وكانت له يد عظيمة تفيض بالرحمة على المساكين والمحتاجين ، فبعدما اخذ

زنكي حاكم الموصل الرها ، وصار اهلها عبدا ، ظهرت حركة بين الناس فأخذوا يشترون اهل الرها ويعتقونهم كل واحد قدر ما يستطيع ، وكان هذا يتجول ويشجع افراد الرعيه على تخليص المسيحيين من العبودية،وبهذه الاعمال اشتهر عند الجميع ، وذاع صيته في بلاد كثيرة ، وخاصة عند المسلمين .

ذكرى الربان توما المتوحد والمطران عبدو

الربان القديس توما المتوحد ، ومعلمه المطران السعيد عبدو اللذان كانا في هذا الزمان في جبل زوبر .

لقد ذاع صيت الربان توما هذا بين رؤساء الكهنة ، واشتهر فلنعرف من هو هذا الربان ، انه من قلعة تدعى سامره في بلاد سود المجاورة للطيبة ، ولما اشتد الجوع في ايام بوزان التركي ، خرج هذا الصبي المسمى توما واتى الى دير زوبر عند خاله الراهب ولما رأى عيشه الرهبنة المقدسة احبها وانخرط فيها ونسي اهل جنسه .

وكان بهذا الزمان رجالا فاضلين بالدير ، احدهم البار مار ياونيس اسقف خرشنة ، وهو عبدو هذا ، وكان هذا شيخا فاضلا سلك من طفولته طريق الصلاح وتعلمذ وتأنب عند الرجال المؤمنين وامتد وبقي يعيش وحيدا حتى بلغ سن الشيخوخة ، ثم تقدم الى درجة الاسقفية بالتزام عظيم وبمباركة الروح القدس ، وكان ذلك على يدي مار يوحنا ابن عبدون البطريرك ، وبعد مده سلمه الرعية على الرغم من ارادته ، وبعد ان تضرع كثيرا أعفوه منها ورسوموا غيره ، اما هو فرجع الى خلوته ، ولما رأى هذا الصبي توما ، وتوسم فيه ملامح الروح القدس ، كان دائما يتفقدده بعد ان اصبح راهبا متوحدا متبتلا يسكن خصا بعيدا ، وكان يعلمه المزامير وطرق وقواعد الرهبنة ، فبدأ يصارع الشياطين ، وكان هذا البار يقويه في صراعه مع الشياطين ، وقد قبل تسوما كل النصائح والتوجيهات

كالارض الجيدة القابلة للزرع الصالح التي تعطي الاثمار مضاعفة ، اعني التدابير الصالحة له .

وبعد ان خدم هذا الشيخ مع الربان توما انتقل الى الحياة غير الزائلة ، فبقي توما يعيش وحيدا في مكانه مدة اربع وستين عاما ، في الصيف كان يصعد الجبل حيث زرع دالية له ، فيعتني بها ، ويقطف ثمرها ويصنعه زبيبا ، وكان يقايض الزبيب بالحنطة حتى لا يأخذ شيئا من احد ، اما في الشتاء فقد صنع له في قلب الجبل مغارة بعيدة كان يعتزل فيها ، وقد وصل هذا الشيخ الى درجة عالية من القداسة حتى صار يشفي المرض ، ويكشف اسرار الناس ، وقد سمعت انا الضعيف ميخائيل من عمي مار اثناسيوس مطران عين زربة ومن منار ايوانيس مطران كيسوم بأنهما شاهدا وسمعا لما جاء زنكي الى الزها ، وقبل ان يأخذها ، ان الربان توما قال : ان الله قد اعطى الزها الى الترك ، فقال له المطارنة اشفق علينا ولا تقل هذا ، لكنه عماد وكرر القول وزاد : نعم نعم ايها المطارنة ان الله قد سلم الزها ، وان عددا كبيرا من المسيحيين يقتلون بها ، وبعد ان سببت في المرة الاولى ، انا سمعت من فم عمي المطران يقول للجمع : ان الربان توما قال لي بعد سنتين من الان ستشرب الزها كأسا مرا امر من الكأس الاول ، وكذلك قال لي : ان دير مار برصوم سوف يسبى حج اديرة زوبر ، فقال الحاضرون وماذا بقي من الزها ؟ فقال للحاضرين : انا لا اعرف ، الربان توما قال لي هذا .

كل هذا سمعته بنفسي من ذاك البار ، وقبل زمن من حدوثه ، لكن بعد ان صار ذلك ، تحقق كثيرون ان الاكتشافات والتنبؤات التي صارت على يدي الربان توما هي من عند الله ، ولما دخل الترك الى دير زوبر امده شهد ذلك الشيخ بالسيف يوم الاربعاء ٢٧ تشرين الثاني في يوم عيد مار يعقوب سنة ١٤٥٨ يونانية ، لتكن ذكراه وصلاته وبركاته دوما معنا امين .

في سنة ١٤٥٩ مضي ايضا مار اثناسيوس البطريرك الى امد

وجلس هناك ، ويوحنا اسقف منبج بن اندراوس ايضا غير رعيته بدون اذن ، فعندما كان البطريرك في تل باشر مع الاساقفة وقع خلاف بين اندراوس وطيموثاوس اسقف خرشنة ، وبعد جدل كثير انتقل ابن اندراوس الى خرشنة ، واتى ذلك الى تل باشر ، ولما مضى البطريرك الى امد وابتعد ، رجع ابن اندراوس لعادته وتخاصم مع فيلاردوس حاكم تلك البلاد. وكان هذا ارمينيا في الجندس وفرنچيا في التدايير ويونانيا هرطوقيا في الايمان ، لكن ابن اندراوس عاد فترك ايضا مرعش وخرشنة ومضى الى بيرا المتوحدين على شاطئ الفرات لكي يتوحد ، فرجع مطران خرشنة الى موضعه.

في هذا الزمان اسلم اهلون الشبختاني اسقف الحديثة ، وكان هذا قد خرج من بلده وسكن في دير مار متى ورسمه اغناطيوس المفيان اسقفا لتلك الرعية ، ثم اسلم ، لكنه مالبت ان رجع ، ولما لم تقبله الرعية ولم تعط له درجة الاسقفية ، ذهب الى القسطنطينية ، وصار خليفونيا ، لكنه رجع ايضا واتى يطلب التوبة فقال له بطريركنا مار اثناسيوس : نحن لانرد التوبة على طالبها ، فاذن له حينئذ تشاجر البطريرك مع المفيان ، فصار المفيان يلوم البطريرك لانه قبله قبل ان يكمل قانون التوبة ، وبالمقابل كان البطريرك يتهم المفيان لانه كان قد رسمه دون ان يفحصه .

لكن مالبت ان ترجع الى المسلمين بغير سبب ، وبقي مع الفقهاء عدة اشهر ثم عاد فندم ايضا ومضى الى ابناء طائفتنا في القدس ، لكن ابناء طائفتنا لم يقبلوه هناك ، فمضى الى الموارنة في جبل لبنان وبقي هناك حتى مات .

في شهر ايار سنة ١٤٦٠ يونانية تراءت في السماء حربة طويلة في ناحية الشمال ، وبعد ساعتين في حلول الليل اختفت ، وبعد وقت قليل ايضا تراءت في ناحية المغرب سيميون اي اية شبه الصليب ، وبعد وقت قليل اختفت ، وفي يوم الاربعاء قبل عيد الصعود نزل في القدس ونواحيها مطر غزير ممزوج بقطرات من الدم ، وكانوا قد

اخبروا عن الدم الذي صار في البلاد الافرنجية بهذا الزمان ، وحدث هذا في شهر ايار وقد صار ايضا عوض الفلك المرسوم على الارض دما ، وهذا يؤشر على كثرة القتل وسفك الدم .

بهذا الزمان سقطت اساقفة في بيعتنا وكان واحد منهم اهررون الشبختاني الذي ذكرناه من قبل اذ كان قد رسمه المفريان اسقفنا للحديثة فأسلم ثم صار يونانيا ثم مارونيا ، والآخر من قلعة زياد ، المتكني ابن الترك ، وهذا كان قد رسمه مار يوحنا البطريرك اسقفنا لرعية تل باشر ، لما خرج منها ابن اندراوس ، لكن لما عاد فقبل ابن اندراوس ، ارسلوا ابن الترك هذا الى سمندو ، لكنه مالبث ان طرد من هناك فأرسلوه الى بلاد خابوراء ، لكنه ايضا اخطأ هناك وزنى فطردوه فمضى لبلاد ارمينية الكبيرة ، حيث خلع ثوب الكهنة وارتدى ثياب الجندي ، وصار يخدم عند واحد من الاكابر ، وعشق هناك امرأة زانية ، ولما نظر انه لن يستطيع ان يطعم نفسه والزانية التي تبعته من خدمته في الجندي ، وكقول الكتاب الالهي ، كان مشتاقا ان يملا بطنه من الخروب الذي كانت الخنازير تأكله ، ولما تعرقل من شر الى شر ، عاد فلبس ثوب الرهبنة المقدس ، واخذ يدور في الاماكن التي لا يعرفه احد ويجمع صدقة باسم الديرية والقديسين ، وكان يأكل كل ما يجمعه مع زانيته ، وكان يعيش عيشه بزخ وفسق وفجور ، فقام ضده اناس من المؤمنين وفضحوه ، كذلك كان رجل اسمه جبرائيل من مرعش ، يكنى غاماكير ، ومعناه في اللسان الارمني « مبتدئ بالصلاة » كان قد رسمه مار اثناسيوس اسقفنا على سروج ، ثم قيل عنه انه سقط في دنس الزنا ، فأشفيق عليه البطريرك ، وتعامل معه بطول الروح ، لكن انغمس في الشرور وارتكب الاثام الفظيعة كما سنوضح القول فيما بعد .